سلسلة روايات انجيب

إصطاده الحب

www.rewity.com/vb
سنو وايت

بربرا كارتلاند

اصطاده الحب

تلقى اللورد هاروبي تحذيراً في صباح يوم حفلة العشاء، وحذر دوق ويلنغتون، رئيس الوزراء بأن يلغي هذه الحفلة. وهكذا ألغي العشاء دون أن يبلغ مستخدمو اللورد هاروبي بالأمر.

قتل ثيستلوود قائدهم بسيفه. ومن ثم ابتدأ قتال وحشي هرب هو أثناءه.

في منتصف المعركة، وصل الكابتن مع مجموعة من الجنود، ولكنه كان متأخراً بعد أن ضل الطريق، ولكن الجنود قبضوا على تسعة من الجناة كان معهم أرشي اينغز اللحام، وزنجي، وصانع الأحذية، وصانع الخزائن، ولكن ثيستلوود اعتقل في اليوم التالي.

www.rewity.com/vb

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - مصر: ٢,٥ جنيه - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال.

الفصل الأول

١٨٢٠

أخذ ماركيز بروم بالتثاؤب، شاعراً بأنه لم يعد يحتمل جو قصر كارلتون، واخذ يتساءل، متى سيتمكن من مغادرته؟

انه وبالرغم من اعجابه بالامير لأسباب عديدة، اخذ السأم يمتلكه من تلك الحفلات المتتابعة التي لا نهاية لها والتي كانت متشابهة دون أي تغيير يذكر فيها.

كان الشيء الوحيد الذي يفتن الماركيز في قصر كارلتون، هو مجموعة اللوحات الزيتية التي كان الأمير يضيف عليها أسبوعياً قطع من الأثاث واللوحات والقطع الفنية ما جعل مقره ذاك أشبه بالمتحف.

عندما عاد إلى التثاؤب، رآه أحد اصدقائه وهو اللورد هانسكيث، والذي كان يمر قريباً فوقف يسأله: «هل تشعر بالسأم، يا آيفو، أم هو مجرد إرهاق نتيجة افراطك في السهر الليلة الماضية؟»

أجاب الماركيز باقتضاب: «بل هو السأم بعينه.»

تابع هنري هانسكيث كلامه: «ذلك لأنك تلتزم الجلوس مع مجموعات معينة من الحضور، بينما انفرد أنا بمن ارتاح

لحديثه حيث نستغرق في الحديث الممتع، وإذا كان هناك ما يضايقني، فيكون حديث المرأة بصوت عال.»

لم يجب الماركيز، فتذكر صديقه ان من جملة ما يكرهه هو الإتيان على سيرة النساء.

فقال يغير الموضوع: «اظن ان الأمير قد اوشك على تغيير عادته ولحسن الحظ أنه كلما تقدم في السن، كلما خفّت رغبته في السهر إلى ساعة متأخرة من الليل.»

أجاب الماركيز: «هذا صحيح. فأنا مازلت اتذكر ان الشمس كانت تشرق قبل ان يخطر ببال الأمير بأن يأوي إلى النوم.»

ضحك اللورد هانسكيث وهو يردد كلامه: «يأوي إلى النوم، يجب ان اتذكر دوماً هذا التعبير، يا آيفو، فهو من اجمل عباراتك المبتكرة.»

فقال الماركيز ببطء: «إنه هدية مني اليك. ولا بد من انك قد تحتاجه على كل حال.»

قال صديقه ضاحكاً: «ولما لا؟ فأنت اكثر ظرفاً وخفة في تعبيراتك وهذا ما يمكننا ان نسرقه منك دون التعرض للعقاب.»

لكن الماركيز لم يكن يستمع إليه إذ كان يراقب الأمير وهو يسير إلى جانب اللايدي هيرتفورد، وهذا يعني أنه على استعداد لمرافقتها إلى خارج غرفة الجلوس الصينية الطراز.

فهم من ذلك انه اصبح بامكانه هو مغادرة القصر متى يريد.

وكأنما ادرك صديقه ما يدور بخاطره، قال له: «ما هو

موعدك القادم، يا آيفو؟ لا أدري إذا كان بإمكاني التكهن بمن في انتظارك الآن.»

أجاب الماركيز: «وفر على نفسك هذه التلميحات السيئة، يا هنري، فأنا ذاهب إلى الريف بأسرع ما يمكن.»

فهتف هنري هانسكيث: «في هذا الوقت من الليل؟»

أومأ الماركيز برأسه بالايجاب، قائلاً: «لدي حصان أشعر بشوق لأن اجربه قبل ان يحين موعد سباق الحواجز يوم السبت المقبل.»

«كما في نيتك ان تفوز به طبعاً.»

«هذا يعتمد على مبلغ اصالة هذا الحصان.» وساد الصمت لحظة هتف بعدها هنري: «آه، لقد أدركت الآن ما الذي تتحدث به، فقد اشتريت عدداً من الجياد التي كان عرضها داركي المسكين للبيع، وأظن هذا الحصان هو واحد منهم.»

فقال الماركيز: «نعم، فقد كان انتابني الغيظ عندما سبقني ذات يوم داركي إلى ابتياع ممنون من قاعة مزادات تاترسال، بينما كنت أنا غائباً.»

قال اللورد هانسكيث: «ممنون... إنني أذكر ذلك الحصان الرائع والذي كان قد أحدث ثورة عنيفة، واحتاج إلى ثلاثة رجال ليضعوا اللجام حول رأسه.»

بدت على شفتي الماركيز ابتسامة باهتة وهو يقول: «لقد اخبروني كم كان متوحشاً، ومع أنني تقدمت لشرائه من داركي، إلا أنه فضل الاحتفاظ به لكي يفرض الثمن الذي يريده، ولكن لم تسنح له الفرصة لترويض هذا الحصان بنفسه.»

قال هنري ساخراً: «وهذا، طبعاً، ما ستقوم به بسهولة.»

أجاب الماركيز بهدوء: «هذا ما أنوي القيام به بالفعل.»

كان يتكلم بثقة كبيرة بالنفس، وهي إحدى ميزاته.

كان الماركيز يتمتع بقوام رياضي عظيم، وفي عالم الرياضة كان دوماً محط الإعجاب، ما جعله يتمتع بشعبية واسعة، فيهتف له عند ظهوره في ساحة كل سباق يقام. ولكن من يعتبرون انفسهم اصدقاءه، كانوا يرونه غامضاً في الكثير من الأحيان وصعب الفهم والادراك.

كان الأمر غريباً بالنسبة إلى مشاعر الماركيز وهو الذي يغضب بعنف إزاء كل من يستعمل القسوة مع الحيوان في مجال الرياضة وسباق الخيل، ما يجعله لا يتورع عن الضرب بسوطه كل من يسيء معاملة الحيوان.

لكن دموع النساء لم تكن لتؤثر في مشاعر الماركيز مهما بدت صاحبتها مثيرة للشفقة.

كالعادة بين شبان طبقته الارستقراطية في ذلك العصر، كان يتخذ لنفسه صديقة قبرصية يرافقها علناً امام اعينهم، الأمر الذي جعلهم ينفجرون غيرة وحنقاً.

وقال اللورد هانسكيث ذات مرة لأحد اصدقائه في النادي الأبيض: «لا اظن ان الماركيز بروم يهتم مثقال ذرة بالنساء، انما يفعل ذلك لإثارة حنقنا نحن الذين ليس بإمكاننا مجاراته في ذلك.»

«تباً له، لماذا هو المنتصر على الدوام؟»

عاد هنري هانسكيث يضحك ثم يقول: «انك حسود، وهذا هو شأنك، لكن، بما أنني معجب بآيفو كثيراً، فأنا لا أراه رجلاً سعيداً حقاً.»

هتف تشارلي غير مصدق: «غير سعيد؟ هذا غير صحيح. وكيف لا يكون كذلك ولديه كل تلك الثروة الطائلة والأملاك التي لم استطع تعدادها؟»

لكن هنري أصر على قوله: «مازلت افكر في ان آيفو يفتقد شيئاً في حياته.»

فسأله تشارلي بلهجة عدائية: «وما قد يكون ذلك؟» لكن اللورد هانسكيث لم يجب.

أثناء عودته إلى منزله، كان يفكر في أنه لم يعرف عن الماركيز، طوال سنوات صداقتهما، بأنه كان قد وقع في الغرام مرة.

كانا، شابين عندما التحقا معاً بجيش ويلينغتون، لم يكن آيفو عندئذ، قد ورث اللقب بعد، كما لم يكن اكثر ضباط الحرس الملكي البريطاني وسامة، فقط، وإنما اشجعهم.

عندما كانا يأخذان عطلتهما كان آيفو يجلس هادئاً مكتفياً براحته.

لم تكن الأقاويل لتجد مجالاً لمعرفة أي شيء يشير إلى حب يشغل قلب الماركيز إلى حد التفكير في الزواج.

كان هنري هانسكيث الآن، يتساءل عما إذا كان الماركيز يرغب في الذهاب إلى الريف بمفرده أم سيقترح عليه مرافقته، ذلك انه إذا كان هنالك شيء يبهجه حقاً، فهو امتطاء صهوة جياد الماركيز الأصيلة، هذا إلى انهما كانا صديقين منذ وقت طويل، ما يجعل لديهما الكثير للتحدث به، وكانت الساعات التي يمضيانها معاً حافلة بكل ما هو مسلٍ.

لكنه سرعان ما تذكر أنه ولسوء الحظ، كان قد وعد الأمير بالذهاب معه صباح الغد لزيارة قصر باكينغهام وذلك

للاستفسار عن صحة الملك، حيث كانت تتدهور يوماً بعد يوم، ما جعله يبدو، وهو في الثانية والثمانين من عمره، بالغ الهزال والسقم.

بما ان الانتظار الذي لا ينتهي قد ادخل الكآبة إلى نفس الأمير، فقد كان يصحب معه دوماً من يثق به، لتأدية تلك الزيارات.

سأل اللورد هانسكيث الماركيز عن موعد عودته من الريف، فأجاب هذا، بينما كان ينظر إلى الأمير وهو يودع ضيوفه عند باب غرفة الجلوس: «إنني غير متأكد بعد، الأربعاء، أو ربما الخميس.»

فقال اللورد هانسكيث: «إذا لم تعد خلال هذين اليومين، فسأوافيك إلى هناك.»

أجاب الماركيز: «هذا إذن، سيشجعني على البقاء في الريف، وأنا لا أفهم ما الذي يجعل كل شخص يرغب في البقاء في لندن بينما هنالك متع الصيد.»

«أوافقك على ذلك، علينا أن نبقى في الغابات نزاول القنص ومطاردة الحيوانات إلى أن ينتهي موسم الصيد.»

«ان الملك قد شارف على الموت الآن، لذا اضطر الأمير لأن يلغي حفلاته وبالتالي ليمنحنا القليل من الحرية.»

أجاب هنري هانسيكث: «لقد أدخلت البهجة إلى نفسي، ولكنني لا أظن ان حنان الإبن نحو والده ذاك، سيستمر طويلاً.»

لم يجب الماركيز، ولكن كان في عينيه تعبير افصح من الكلام، وكان هنري هانسكيث واثقاً من أنه، عندما يجد

وإنما كان أيضاً عبارة عن خزنة ذات قفل غير عادي كان يضع فيها الأشياء الثمينة وذلك أثناء الرحلات الطويلة، حتى إذا أوقفها قطاع الطرق، هذا إذا كانوا من الشجاعة بحيث يمكنهم ذلك، لن يدروا بوجود ذلك المخبأ.

كان الماركيز قد صمم هذه الخزنة بنفسه، متوخياً فيها العمق والاتساع بحيث تتسع لكل النفائس التي قد ينقلها معه، على أن تكون، في نفس الوقت، مريحة تماماً لمن يجلس عليها من ضيوفه.

على كل حال، لم يكن تفكيره، حالياً في عربته هذه وإنما في السعادة التي سيجدها غداً حين يمتطي صهوة جواده ممنون لأول مرة.

كان يتطلع بشوق إلى نضاله المقبل مع جواد كان يعلم ان ترويضه سيتطلب كل خبرته كفارس غير عادي.

هذا إلى أنه، كما سبق وقال اللورد هانسكيث، كان متعباً نوعاً ما.

لم يكن من السهل أن يتعب الماركيز، ولكنه كان قد أمضى عدة ليالٍ على التوالي ساهراً إلى ساعة متأخرة من الليل.

لكن مهما تأخر في السهر، في لندن، فإن ذلك لم يكن يمنعه من الاستيقاظ باكراً، فيخرج إلى الحديقة العامة للتريض على صهوة جواده، وذلك قبل ان يتكاثر المتريضون امثاله، كي لا يمنعوا عليه التجول بحرية.

الأكثر من ذلك، ذهابه هذا الصباح إلى ويمبليدون للتفرج على مباراة في الملاكمة، حيث اخذ في تشجيع احد الملاكمين ما لبث أن ربح المباراة كما كان يتوقع له دائماً.

بعد ذلك، تناول الغداء مع رئيس الوزراء احد اعضاء

مجلس الشيوخ، حيث اخذوا يتناقشون في مواضيع معنية كانت تهم الماركيز بشكل خاص.

كان ما يثير اهتمامه، هو تفجر الثورة العنيفة والتهديدات الشرسة ضد النظام الاجتماعي الذي كان سائداً في العام ١٨١٥ ويبدو أنه عاد إلى الظهور الآن.

كان عدد من رجال الدولة المتفائلين، يرون في هذا مبالغ لا طائلة منها بالنسبة إلى الوضع.

لكن اللورد سيد ماوث، ساند الماركيز قائلاً إنه لا يشك في ان الغيوم المتجمعة في الشمال هي على وشك الإنفجار. وكما قال للورد تشانسيلور وللورد التون، بأنه يتمنى لو بإمكانه ان يقتنع بكفاءة هذه الوسائل، سواء بواسطة القانون أو القوة، لكي يقضوا على روح الثورة.

كان البعض من أصدقاء الماركيز في المجتمع الراقي، عدا اللورد هانسيكث، من كان لديه فكرة عما كانت تقابل به آراؤه اهتمام وتقدير، في هذه الاجتماعات الخاصة.

وحدث نفسه انه ينبغي القيام بشيء الآن، وبسرعة، وإلا فستبدأ المتاعب، وقد تستغرق وقتاً طويلاً لازالتها.

أخذ يردّد، بينه وبين نفسه، ما بإمكانه القيام به لو كان رئيساً للوزارة.

في هذه الأثناء كانت جيادة قد تركت الضواحي ودخلت المناطق الريفية، بسرعة كبيرة، قاطعة الطرق التي اصبحت جافة بعد فترة طويلة من طقس رديء غير ممطر وإنما كان الثلج يتساقط خلال الليل.

وكما كان الماركيز يدرك حين عزم على السفر، فقد كان البدر مكتملاً، لذا لم يعتمد السائق على مصباح العربة.

لقد كان بإمكانه رؤية الطريق بغاية الوضوح تحت السماء المتألقة بالنجوم وضوء البدر الذي كان ينير الأنحاء.

كان الماركيز يعلم ان الوصول إلى الريف بروم، لا يستغرق عادة اكثر من ساعتين، حيث انها كانت قائمة على تلال ساري.

كان النعاس يداعب اجفانه حين انتبه فجأة، انه ليس بسبب حركة صدرت عن العربة، ولكن لشعور لم يفهمه، بأن قدميه قد دفعهما شيء ما إلى الأعلى.

كان، في البداية، قد ساوره شعور غامض بأن قدميه كانا يرتفعان، ولكن خطر بباله أن قفل الخزنة، قد لا يكون محكماً كما يجب.

سبّب له ذلك ازعاجاً كبيراً، وهو الذي يحب ان يكون كل شيء تاماً بشكل صحيح في كل ما يختص به.

أزاح قدميه بغضب، ثم رفع السجادة وانحنى إلى الأمام ليتلمس ما إذا كان القفل غير مقفل جيداً كما ينبغي أن يكون.

وتملكه الذهول وهو يرى المقعد يزداد ارتفاعاً، وفي ضوء القمر المتدفق من النوافذ، أدرك أن ثمة شيء ما دفع بالمقعد من الداخل إلى الأعلى.

ابتدأ يتمتم قائلاً: «ما قد يكون ذلك...؟» ثم أدخل يده في فتحة المقعد المنجد وقبض بأصابعه على شيء في الداخل.

تصاعدت صرخة ألم من الداخل وإذ شعر الماركيز بشيء في يده، اخرجه في الحال.

وتملكه الذهول وهو يرى أن ما امسك به، لم يكن سوى

غلام سقط على قدميه، وقد هتف به ساخطاً: «لقد... المتني.»

سأله الماركيز غاضباً: «من أنت وما الذي تفعله هنا.»

«كنت مختبئاً.»

كان الغلام يفرك عنقه بيده وهو يتكلم، فرأى الماركيز رأسه الذي يكسوه شعر اجعد أشقر اللون.

كان غلاماً صغير البنية، إلى درجة انه تمكن من الإختباء في تلك الخزنة الفارغة، قال الماركيز بخشونة: «اظنك كنت تريد سرقة شيء مني، ولكننا شرعنا في السير قبل ان يتسنى لك الهرب.»

لم يجب الغلام وإنما تابع فرك عنقه، وبعد لحظة سأله الماركيز: «ما أريد معرفته هو كيف علمت بوجود خزنة تحت هذا المقعد، وكيف تمكنت من فتحه بينما هو مقفل؟»

أخذ الغلام ينظر إليه الآن، فرأى ان وجهه صغير بجبهة بيضاوية ونقن مدبدب، بينما بدت عينيه بالغتين في الاتساع.

ساد صمت قال الماركيز بعده: «إنني انتظر جوابك، وانصحك بقول الحقيقة وإلا سلمتك إلى خدمي لمعاقبتك كما تستحق.»

أجاب الغلام: «ولكنني لم اسرق شيئاً منك، وإنما كنت اختبىء فقط كما سبق واخبرتك.»

«ممن كنت تختبىء، ولماذا في عربتي بالذات؟»

«لأنها يجرها ستة جياد.»

انتبه الماركيز فجأة، إلى أن صوت الغلام كان منخفضاً ومهذباً.

كذلك لم يكن يبدو عليه الخوف كما هو متوقع، وإنما كان يجلس في أرض العربة بهدوء.

رأى الماركيز أن الغلام كان يرتدي سترة قصيرة من ذلك الطراز الذي كان هو نفسه يرتديه عندما كان في كلية إيتون، ولكن بدلاً من الياقة البيضاء، وضع وشاحاً حريرياً قاتم اللون عقده تحت ذقنه.

قال له: «أظن انه عليك توضيح تصرفاتك هذه، وطبعاً لدي الحق في سماع الجواب.»

أجاب الغلام: «لم أقم بأي عمل سيء، ما عدا انني ركبت في عربتك دون إذن منك، وعندما تخرجني من لندن، سأختفي ولن أزعجك بعد ذلك.»

سكت قليلاً، ثم عاد يقول: «ما كنت لتعلم شيئاً عني، لولا تشنج عضلاتي وعدم تمكني من التنفس، إلى درجة لم أعد استطيع معها الاحتمال اكثر، وخفت أن أموت اختناقاً.»

فقال الماركيز عابساً: «انك تستحق ذلك، ولكنني مازلت أريد أن أعرف كيف دخلت إلى تحت المقعد وكيف علمت بوجوده.»

أدرك أن الغلام ابتسم قبل ان يرد قائلاً: «الذي حدث هو أن عمي قد اقام مثل هذا المخبأ ضد قطاع الطرق في عربة السفر التي اشتراها حديثاً.»

قال: «لا اصدق ذلك. فقد كان هذا من اختراعي، وقد اقسم بشرفه صانع العربة بأنه لن يصنع واحدة مثلها تعرض للبيع مهما كانت الظروف.»

ضحك الغلام بشكل بدا للماركيز ساخراً، وهو يقول: «يبدو انك واثق جداً من الآخرين، إن بعض الرجال على

استعداد لأن يبيعك أسرار برج لندن إذا أنت دفعت لهم مبلغاً كافياً.»

قال الماركيز: «تبا، لن أتعامل مع تلك الشركة بعد الآن.»

«الحقيقة هي ان الذي افشى السر ليست الشركة نفسها، بل أحد موظفيها الذي كان قد طرد من العمل لقبوله الرشوة.»

شعر الماركيز بالتوتر وقال: «ان ما تخبرني به هو شيء كريه، تماماً مثل وجودك هنا. من أنت وما هو اسمك؟»

أجاب الغلام بتعالٍ غير متوقع: «لست ملزماً بالإجابة على هذا السؤال، كل ما اطلبه، هو ان تنزلني في أية مدينة تمر بها قبل ان تصل إلى حيث تقصد، وبعد ذلك تنسى انك رأيتني.»

أجاب الماركيز: «طلبك هذا يبدو غريباً، وأحب ان اعرف المزيد عنك قبل الموافقة على طلبك هذا.»

فقال الغلام: «ليس ثمة من سبب يجعلك تهتم بي، وكما سبق وقلت لك، ما كنت لتعلم بوجودي لو لم اشعر بصعوبة في التنفس حتى انني كدت اشعر بالاغماء.»

قال الماركيز: «ولكنك لست مغمى عليك الآن. أرى ان تجلس على المقعد المواجه لي لاتمكن من النظر إليك، بينما تخبرني بالحقيقة الكاملة عن نفسك.»

صدر عن الغلام ضحكة وجدها الماركيز بريئة الى حد كبير، ثم قال: «لا اظنك ستصدقني ولكن دعني أؤكد لسيادتك، انه من الأفضل لك كثيراً أن تبقى في جهل تام بأمري خاصة عن السبب الذي يجعلني اقبل ضيافتك لمسافة قصيرة.»

فلوى الماركيز شفتيه هازئاً وهو يقول: «اظنك هارباً

من المدرسة أو من معلميك. دعني اخبرك بأن هذا ليس عملاً حكيماً منك وإنما هو خطر كذلك.»

«هذا شأني الخاص.»

بينما كان الغلام يتكلم، اخذ يغير من وضعه الذي كان قد بقي عليه منذ سحبه الماركيز من مخبأه، ثم أخذ يدلك إحدى ساقيه التي كانت تؤلمه على ما يبدو وما لبث ان جلس حيث أشار عليه الماركيز بالجلوس، لكنه استمر في تدليك ساقه.

قال له الماركيز ببرود: «إذا كنت تشعر بألم، فالذنب، ذنبك وحدك.»

أجاب الغلام: «اعلم ذلك، ولكنني اشعر بالضيق من التشنج الحاصل في ساقي.»

رفع أثناء حديثه، ساقه تلك ليمددها على المقعد، وأخذ يدلك كاحله وهو يقول: «انها تؤلمني، لقد كانت من التشنج بحيث لم أكن أشعر بها.»

أجاب الماركيز: «انك لن ترى مني أي عطف. وكلما أسرعت بالعودة إلى بيتك، كان ذلك افضل.»

فقال الغلام: «هذا ما لن افعله، ومهما قلت انت أو غيرك، فلن تجعلني أغير رأيي.»

لم يكن بإمكان الماركيز الرؤية بوضوح حتى في ضوء القمر، لكن صوت الغلام كان أقرب الى الطفولة منه الى الشباب كما أن صغر قامته، هذا إلى يديه الصغيرتين، كل ذلك جعل الماركيز واثقاً من ان الغلام كان صغير السن.

فقال بصوت مختلف: «والآن، استمع إلي، ان كل الغلمان يشعرون احياناً بالرغبة من الهرب من عائلاتهم ومن دروسهم، ولكن ليس لديك فكرة عن المصاعب التي

ستواجهك في العالم خارج بيتك الآمن. عد إلى اهلك ولا تكن غبياً.»

قال الغلام متحدياً: «كلا.»

سأله الماركيز: «إلى متى يمكنك أن تبقى دون نقود؟»

«يوجد معي مبلغ كبير من المال.»

«سيسلبك إياه أول متشرد تلتقي به في طريقك، وستكون محظوظاً إذا هو لم يضربك أيضاً.»

قال الغلام: «انك تحاول إخافتي، ولكن كل المخاوف التي تتحدث عنها لم تبلغ بعد نصف تلك التي حملتني على الهرب.»

قال الماركيز: «لماذا لا تخبرني عنها؟»

«انك لن تصدقني.»

«وما أدراك؟ لقد سمعت الكثير عن القصص الغريبة المختلفة في حياتي، ومتى كانت تبدو لي صادقة، كنت أحاول المساعدة دوماً.»

«هل تعرض علي العون؟»

«نعم.»

ساد صمت قال بعده الغلام وهو ينزل ساقه: «أحب أن أثق بك... ولكن، اظنني سأكون مخطئاً... في ذلك.»

فسأله الماركيز باسماً: «هل ستكون مخطئاً بحقي أم بحق نفسك؟»

«بحقنا نحن الاثنين، وخصوصاً أنت. أؤكد لك انك إذا تكفلت بمساعدتي فستندم في النهاية. لهذا السبب ساخرج من عربتك هذه حالما تتوقف الجياد، ثم لا تعود إلى رؤيتي مرة أخرى.»

فقال الماركيز: «انك لا تتصور مقدار ما سينتابني من الغيظ إذا أنت تركتني اتساءل عمن تكون أو ما الذي قد حدث لك. والآن، يا صديقي الصغير، عليك أن تدفع أجرة انتقالك معي وذلك بأن تحدثني بقصتك، سواء كانت صادقة أم كاذبة.»

قهقه الغلام بشكل غير متوقع: «إنك تجعلني أبدو مثل شهرزاد.»

«ولكن شهرزاد كانت امرأة، فهل أنت كذلك؟»

ساد صمت، وإذا بالماركيز يقول: «اظن، هذا إذا لم اكن مخطئاً، انني وجدت الجواب على أول لغز.»

ظن للحظة بأن الشخص الجالس امامه سينكر الأمر، ولكنها قالت: «هل أمري واضح إلى هذا الحد؟ ظننت أنني عندما اقص شعري قصيراً، لن يعرف أحد بأنني لست غلاماً.»

أجاب الماركيز: «لو كنت رأيتك في وضح النهار، لأدركت حقيقتك بشكل اسرع، ان صوت الغلام، حتى في السن الذي تبدين به، هو عادة اكثر خشونة وعمقاً.»

«هل تظن ان أي شخص غيرك، سيتمكن من تمييز ذلك؟»

«إني واثق من هذا.»

«لا اصدقك.»

قال الماركيز بجفاء: «اظن من الخطأ وضع أمرك هذا موضع التجربة.»

ساد صمت قصير قالت بعده: «انك هدمت الآن كل شيء، فقد كنت واثقة من ان أمري لن ينكشف قبل ان أصل إلى فرنسا.»

www.rewity.com/vb سحر وايت

هتف الماركيز: «فرنسا، هل أنت ذاهبة إلى هناك؟»

اومأت بالإيجاب وهي تقول: «نعم، لي صديقة في باريس، انها فرنسية ومن المؤكد ستخبئني عندها، إذا تمكنت من الوصول إليها، ولن يستطيع أحد العثور علي.»

«وهل تظنين حقاً أن بإمكانك السفر إلى فرنسا؟ إن هذه ليست فكرة مستحيلة فقط، بل بالغة في الحماقة أيضاً.»

وإذ أدرك الآن أنه يتحدث إلى فتاة وليس إلى غلام، فكر في انه كان عليه أن يدرك قبل الآن، ان نعومة صوتها ونبرته الموسيقية لا يمكن أن تكون الا لفتاة.

قالت: «أصبح محتماً عليك الآن أن تقدم لي العون، هل يمكنك ان تجد لي مرافقاً إلى باريس، بإمكاني أن أدفع ثمن خدماته.»

سألها: «كم لديك من المال؟»

اجابت: «عشرون جنيهاً ورقاً وبعض من القطع المعدنية وهذه...»

وضعت يدها في جيب سروالها، وأخرجت شيئين تألقا في ضوء القمر.

رأى الماركيز أن احد هذين الشيئين كان عبارة عن دبوس هلالي الشكل ومرصعاً بالماس، بينما كان الشيء الثاني، عقداً مرصعاً بنفس الأحجار، والذي كان، دون شك، تساوي مبلغاً كبيراً من المال.

قالت الفتاة: «يمكنني أن أبيع هاتين القطعتين ومن ثم أعيش بهناء لمدة طويلة على ما أظن.»

فسألها: «وإلى من ستبيعينها؟ هذا إذا استطعت عبور القنال إلى حيث ستكونين في مأمن؟»

لم تجب، ولكنه أدرك أنها كانت مصغية إليه بينما تابع يقول: «ان صاحب اي حانوت للجواهر، سيغشك وهو يراك في هذه الملابس، حتى ولو استقبلتك صديقتك واخبأتك عندها، أظن أن والديك سيبحثان عنك ولا بد من أن يتم العثور عليك عاجلاً أم آجلاً، كما انك ستجدين أن أي مبلغ من النقود في حوزتك لن يكفيك في فرنسا وقتاً طويلاً.»

قالت بسخط: «انك تختلق الصعوبات لإخافتي فقط.»

قال: «إذا كنت صريحة معي، فذلك سيسهل الأمور، إبدإي من البداية، ما اسمك؟»

«كارا.»

«هل هذا كل شيء؟»

«كلا، ان لدي اسماً آخر، ولكنني لا أريد أن اطلعك عليه.»

«لما لا؟»

«لا استطيع الإجابة على هذا السؤال.»

«عليك أن تدركي، انه سيستحيل علي مساعدتك إذا انت أبقيت كل شيء سراً.»

«كل ما أطلبه منك هو أن توصلني إلى فرنسا، ولا اظنني اطلب منك الشيء الكثير.»

أجاب: «بل تطلبين الكثير، انك، أولاً، اخفيت نفسك في عربتي، وذلك في مكان آمن من اللصوص كما كنت أظن، ثانياً، إدعيت بانك غلام بينما انت فتاة، وثالثا، رفضت اطلاعي على اسمك. فما الذي تتوقعين مني عمله غير تسليمك إلى القاضي لكي يتعامل معك بما يراه مناسباً؟»

أطلقت الفتاة صرخة رعب، ثم قالت: «انك تخيفني فقط، أنت تعلم جيداً انه ليس بامكانك القيام بعمل كهذا.»

«لا تكوني واثقة من ذلك.»

«لا بل أنا واثقة، رغم ان لك سمعة بالقسوة وانعدام الشفقة.»

أجفل الماركيز وقال: «ماذا تقصدين بذلك؟»

«ان كل شخص يعرف ماركيز بروم. السيد النبيل.»

«إذا كان الأمر كذلك، فمن العدل أن اعرف انا اسمك أيضاً بالمقابل.»

«إنني أرفض هذا كلياً.»

«لماذا؟»

«لأنني لو فعلت، اعلم بأنك، لن تساعدني.»

حدّق الماركيز فيها بدهشة وقال: «لا أدري لماذا تقولين ذلك. لقد سبق وساعدت الكثير من الناس كانوا قد وقعوا في المشاكل.»

«هذا ليس معروف عنك.»

ساد صمت قصير قال الماركيز بعده: «لسنا بصدد الحديث عن نفسي، بل عنك أنت بالذات.»

«نعم، اعلم هذا... وحيث انني لا أريد ذلك، فمن الأسهل علينا أن نتحدث عنك. إن الرجال الآخرين يغارون منك إلى درجة كبيرة، وعلى ما أظن انك تعلم ذلك.»

ضحك الماركيز، وقال: «انا لا اصدق ان ما اواجهه هو الحقيقة بعينها. لا بد انني احلم بكل هذا الوضع السخيف. بالمناسبة، لماذا ترتدين سترة كلية إيتون؟»

«إنها لإبن عمي وقد اصبحت الآن صغيرة المقاس بالنسبة اليه، وقد سرقتها من غرفة المخزن القديمة واخفيتها في الخزانة إلى ان اكون على استعداد للهرب.»

«إذن، فقد كنت تخططين لذلك من قبل؟»

«منذ اكثر من اسبوع، لقد حاولت ان افكر في طريقة أخرى للهرب، ولكن هذه الطريقة، هي الوحيدة التي بدت لي ممكنة.»

«لقد قصصت شعرك، وارتديت ملابس غلام، وبعد ذلك اخفيت نفسك في عربتي، كيف علمت بأنها تخصني؟»

«لقد رأيت شعار اسرتك مرسوماً على بابها، ولكنني، في الواقع، لم اخترها لأنها عربتك.»

«ما هو السبب إذن؟»

«لأنه كان يجرها ستة جياد، فأدركت انها ستغادر لندن هذه الليلة، وهذا ما كنت أريده.»

كان هذا التفسير بسيطاً ومنطقياً في نفس الوقت، ما جعل الماركيز يقول باسماً: «إذن، فقد كنت ستستقلين أية عربة تبدو لك وكأنها ستغادر لندن في رحلة طويلة.»

«نعم، ولكنني مسرورة لأنها كانت عربتك.»

«لماذا؟»

«لأنك رجل منصف بصرف النظر عما يقولونه عنك. لهذا السبب، أنا واثقة من انك لن تسلمني إلى القاضي ولن تتخلى عني رغم محاولاتك في ان تخيفني من أن يسلبني المتشردون أو حتى يضربوني.»

فأقر الماركيز بينه وبين نفسه بأنها فتاة ذكية، ثم قال بعد لحظة: «كل هذا حسن جداً، ولكن علي أن اقوم بشيء لأجلك.»

«لقد كنت اخبرتك بما يمكنك أن تقوم به.»

«هل أنت على استعداد لإعطائي اسم صديقتك في فرنسا؟»

«كلا.»

«لما لا؟»

«لأنك قد تكون مرغماً فيما بعد على اخبار أولئك الذين يلاحقونني بمكان وجودي.»

«اتظنين انهم قد يحققون معي؟»

«لا اظن ذلك، ولكن، من يعلم؟ سيكون هنالك استنكار ومطاردة، لذا فالأفضل ان لا تتورط أنت في هذا الأمر إلى درجة كبيرة.»

فقال: «أظنني قد تورطت وانتهى الأمر، وإذا كان هناك استنكار ومطاردة، كما تقولين، فهل عليّ ان ادعي بأنني لم أرك من قبل، وبأنك لم تسافري معي من لندن إلى الأرياف؟»

«كيف تفكر في إعطاء الأعداء معلومات غير ضرورية عني؟»

«انهم اعداؤك انت وليسوا اعدائي.»

ضحكت كارا ضحكة قصيرة: «هذا ما تظنه انت.»

سألها: «ماذا تعنين بذلك؟»

«لا شيء، ولكن قليلاً من الرجال لهم ما لك من الأعداء. انهم طبعاً يحسدونك لثرائك ويغارون من نجاحك الشخصي.»

تحرك الماركيز في جلسته، وهتف: «كيف تجرؤين على كلام كهذا؟ لقد كنت مخطئاً حين ظننتك حسنة التربية.»

ضحكت كارا مرة أخرى دون ان يبدو عليها الخجل، ثم قالت: «ما تريد قوله هو انك لا تحب الحقيقة. فإذا كنت ارتدي ثوب سهرة، واحمل مروحة بيدي، كنت سأمتدحك بالطريقة التي تتوقعها، ولكن بما انني متنكرة بشكل غلام، يمكنني قول ما أشاء.»

فقال الماركيز متجهماً: «إذا أردت أن اعاملك بصفتك غلام، فهذا يعني اني قد اضربك بقسوة.»

ردت عليه بحدة: «ما اعلمه جيداً، هو ان القوة الوحشية هي آخر سلاح يلجأ إليه الأغبياء.»

حدّق الماركيز فيها لحظة، وما لبث ان مال إلى الخلف وهو يقهقه ضاحكاً، ثم قال: «ليس من الممكن اصلاحك، لم يكلمني احد من قبل بمثل هذا الكلام.»

أجابت: «انها إذن تجربة مفيدة، ورغم انك لن تراني أبداً مرة أخرى، ربما قد تتذكر ما سأقوله لك الآن، وتتنبّه إلى أولئك الذين سيطعنونك من الخلف على حين غفلة منك.»

ضحك الماركيز وقال: «إذا حدث ذلك، فمن دون شك سأتذكر ما قلته لي، لكن بعد فوات الأوان.»

قالت: «سيكون عندئذ الذنب ذنبك ولا يمكنك القول بأنني لم احذرك.»

الفصل الثاني

في الوقت الذي وصل فيه الماركيز إلى نهاية المرج ممتطياً الجواد ممنون كان الاثنين يلهثان بشدة.

لقد ابتدأ الجواد بالخضوع الآن، بأنه التقى سيده، ومع أنه حاول المستحيل لكي يقذفه عن ظهره، فقد بقي المركيز فوق السرج ثابتاً لا يزحزحه شيء.

لقد نشأ أثناء هذه المعركة الضارية بين الرجل والحيوان، والتي ابتدأت منذ اللحظة التي غادرا فيها الاصطبل، احترام متبادل.

أخذ ممنون يسير الآن رافع الرأس بكبرياء، وكأنه يظهر مدى أهميته بينما كان يسير في الاتجاه الذي يقوده إليه الماركيز.

كان يفكر راضياً في أنه حصل على جواد يستحق ما يملكه من خبرة، وأنه دون شك سيستمتع بالمعارك القادمة، والتي لا يمكن احصاءها، مع ممنون، رغم ما يكنه كل منهما من احترام لبعضهما البعض.

كان في نهاية المرج، قطعة أرض معشوشبة رأى الماركيز فيها عدداً من جياده تتراكض كان يمتطيها غلمان الاصطبل الذين كانوا يتسابقون بمرح.

أخذ يراقبهم لعدة دقائق، ثم سار نحو المروّض الذي كان يمسك في يده ساعة.

اوقف الماركيز الجواد، ولكنه لم يتكلم إلا عندما نظر الرجل الى ناحيته، فعلم أنه انتهى من حساب الوقت.

سأله الماركيز: «حسناً، يا جونسون؟ ما هو قرارك؟»

ابتسم تيد جونسون الذي يخدم الماركيز منذ ست سنوات والذي عرف عنه أنه أحد أكثر المروّضين خبرة في البلاد، وقال: «إن الحصان فلاي كاتشر، يا سيدي سيفوز في أول سباق كبير سنشترك فيه.»

فسأله الماركيز: «هل أنت واثق من ذلك؟»

«واثق جداً، يا سيدي.»

«وماذا بشأن رولو؟»

أجاب تيد جونسون وقد بان الرضى في ملامح وجهه: «سنهزمه إذا توفرت الشروط المناسبة.»

كان نظر الماركيز على الجياد التي كانت عائدة إليه بعد أن انتهت من تمارينها.

كانت الجياد اصيلة ذات نشأة ممتازة، وكان بينها واحد لا تخطئه عين خبيرة بالجياد، ألا وهو فلاي كاتشر. وكان الماركيز قد أدخله سباقاً عاماً لمرة واحدة فقط، ولكنه ما لبث أن سحبه بشكل غامض.

لقد كان يعلم دون أن يخبره أحد، أنه يملك كل ما يحلم به أصحاب الجياد، ألا وهو الجواد الذي لا يهزم في أي سباق.

في السنة الماضية، كان الماركيز واثقاً من فوزه في سباق الدربي وذلك بجواده الممتاز. ولكن في آخر لحظة، إذا بمنافس له يظهر في الحلبة وهو جواد النبيل ماتلوك والمسمى باسم غرين دراغون.

كان من الطبيعي أن يتقبل الماركيز، وهو الرجل الذي يتمتع بالروح الرياضية، هزيمة جواده أمام غرين دراغون لولا ارتيابه بالطريقة التي كان يركض بها جواد النبيل هذا.

ذلك أن الرجل الذي ركض به قد أعلن أنه استعمل معه منشطات ضد القانون.

لكن الماركيز كان يعلم أن لا فائدة من الشكوى إلى الرجل النبيل الذي يكرهه والذي كان قد سبق وحدث بينهما مناوشات تتعلق بسباقات الخيل التي كانا يتنافسان فيها بشكل شخصي تماماً.

بشكل أوضح، كان الماركيز يحتقره، كما كان ذاك النبيل يكره الماركيز.

كان الماركيز متأكداً، رغم أن ذلك يحتاج إلى برهان، من أن تعليمات النبيل إلى سائسيه هي أن يمنعوا فوز جياد الماركيز بأي شكل من الاشكال.

وبما ان الماركيز كان يدرك مدى صلاحية جواده فلاي كاتشر، فقد أخرجه من اصطبله في ابسدوم ليحضره إلى بروم مع عدد من جياده الأخرى حيث جعلها بعيدة عن أعين المتسابقين، عازماً على تقديم فلاي كاتشر في اللحظة الأخيرة فقط، تماماً كما كان ذلك النبيل قد فعل بالنسبة إلى حصانه غرين دراغون في السنة الماضية.

لم يكن ثمة شك في أن رولو هو حصان غير عادي، ولكنه كان الحصان الوحيد لدى النبيل الذي يشكل تهديداً حقيقياً لاصطبل الماركيز.

سأل الماركيز سائسه: «هل تشعر بالرضى، يا جونسون؟»

كان أثناء حديثه يراقب فلاي كاتشر الذي كان قفز امامه.

أدرك من الابتسامة العريضة التي كانت تكسو وجه راكبه، أن الجواد قد أتى بما كان متوقعاً منه.

امتطى الجياد الاخرى غلمان الاصطبل، لكن بيتسون،

والذي كان مميزاً ومعروفاً، كان يمتطي صهوة فلاي كاتشر امام الماركيز.

«صباح الخير، يا سيدي.»

«صباح الخير يا بيتسون. ما هو قرارك؟»

«وهل سيادتك بحاجة إلى سؤال؟ إن فلاي كاتشر هو أفضل حصان امتطيت صهوته حتى الآن.»

فقال الماركيز: «أنا أعلم أن هذه شهادة ممتازة منك، يا بيتسون.»

«اجعله بعيداً عن الأنظار في الوقت الحاضر يا سيدي.»

فابتسم الماركيز، ولم يهتم بالقول ذلك أن كل ما يطلبه هو الشعور بالرضى لكونه الفائز.

ابتعد بيتسون بالجواد بعد أن لم يبق لديه ما يقوله، ولحق بالجياد الاخرى التي كانت عائدة إلى الاصطبل.

أدار الماركيز ممنون، فقال جونسون: «كم يسرني أن نهزم ذلك النبيل، يا سيدي، بعدما كان قد الحق العار بنا في السنة الماضية.»

لم يجب الماركيز، وتابع جونسون قائلاً: «لم أعرف في ذلك الوقت، يا سيدي، بأن هارود الذي كان يمتطي صهوة جوادنا، قد تلقى على ظهره ضربتين بالسوط من جوكي الرجل النبيل.»

حدّق الماركيز في وجه السائس ثم سأله: «أتريد أن تقول إنه ضرب بالسوط عن قصد؟»

«نعم، يا سيدي. ولكن هارود المعروف بهدوئه وحسن نيته، ولم يشأ في اتهام النبيل، قائلاً إنه سيجد صعوبة في إثبات ذلك أمام الخدم.»

فهتف الماركيز قائلاً: «لم أسمع من قبل ابداً بمثل هذا العمل المشين. لو كنت أخبرتني في ذلك الوقت...»

وسكت، ثم عاد يقول: «كلا يا جونسون. أظن ان الحق كان مع هارود، إذ دوماً من الصعب اثبات أي شيء يحدث أثناء السباق، ولكننا أنت وأنا، نعلم أن هارود رجل صادق ولا يكذب بالنسبة إلى أمر كهذا.»

«بالضبط، يا سيدي وهذا هو السبب في أنه لم يأت على ذكر ذلك عندها. ولكنه أسر إلي منذ فترة من الزمن بأنه لا يريد، حتى وإن طلبت منه سيادتك ذلك، أن يشارك في سباق الدربي لهذا العام.»

فسأله المركيز بحدة: «ولما لا؟»

«السبب، يا سيدي، هو أنه أشيع مؤخراً، بقصص غير حميدة عن الجوكية الذين هزموا السيد ماتلوك، فكان أن تعرضوا لحوادث في الليالي المظلمة وقد انتشلوا واحداً منهم من أحد المجارير وهو بين الحياة والموت.»

أخذ الماركيز يحدق في المدرّب غير مصدق: «هل أنت صادق في ما تقول، يا جونسون؟»

«هذا ما أخبرني به هارود، يا سيدي. ونحن الاثنان نعلم أنه من الأشخاص الصادقين الذين لا يختلقون الاقاويل.»

قال الماركيز: «هذا صحيح. ولكنني لا أستطيع أن أصدق أن السيد ماتلوك يمكن أن ينحدر إلى هذا الدرك الحقير ويخرج عن قوانين سباقات الخيل.»

ساد صمت قال جونسون بعده: «لقد كنت سمعت يا سيدي، ولكن هذا طبعاً من الاقاويل التي تنطلق عادة في ميادين السباق، سمعت بأن السيد ماتلوك غارق في الديون.»

فأومأ الماركيز برأسه وكأنه كان يتوقع ذلك.

ولكنه، بعد أن أدرك أنه ما كان له أن يخوض في أقاويل الناس مع أحد مستخدميه، حثّ حصانه ممنون بالمهماز ما أعاد الحيوان إلى ما كان عليه من قلق وتحفز، وما جعل الحديث ينتهي بين الرجلين.

سرعان ما كان الماركيز وحصانه ينطلقان بعيداً.

لم يعد إلى البيت، وإنما أخذ يعدو بحصانه في الأنحاء، ما أدخل البهجة إليهما معاً.

بعد ذلك طاف ساعة في الحقول باتجاه الناحية الغربية من المرج قبل ان يقرّر اخيراً العودة إلى البيت.

كان الماركيز، طوال الوقت، يفكر في السيد ماتلوك، والذي كان يعرفه على الدوام عدواً لدوداً له.

كان يتساءل عن الطريقة التي يستطيع بها أن يمنعه من التسبب بأية فضيحة قد تسيء إلى عالم السباق بأجمعه وهذا ما كان أعضاء نادي الجوكي، وهو من بينهم، يتفادونه على الدوام بكل ما يملكونه من قوة.

فقط، وهو يعبر الجسر فوق البحيرة، تذكر أن لديه مشكلة أخرى حالياً، ألا وهي كارا.

خف التوتر الذي كان قد ساد ملامحه أثناء تفكيره بالسيد ماتلوك، وذلك بعد أن انتقل إلى التفكير في ظهورها المفاجيء في عربته.

أخذ يتذكر، بشيء من الهزل، رفضها بالادلاء بهويتها، وبالتفاصيل الأخرى المتبقية.

لقد كانت تجلس قبالته، ترفض الاجابة على أسئلته حول شخصيتها وهي تتجادل معه بطريقة لم يعتدها من قبل،

واقرب من الوقاحة، إلى أن قالت: «حيث انني أشعر ببرد شديد دون معطف، أظن إذا لم يكن من مانع، أن أشاركك باستعمال الدثار الفرو الذي تغطي به ركبتيك. وسيكون الامر أفضل كثيراً لو أنني جلست إلى جانبك.»

لم تنتظر موافقته، وإنما وقفت وجلست على المقعد الخلفي، ثم جذبت الدثار فوقها حتى وصل إلى ذقنها.

بعد ذلك قالت وهي ترتجف: «رغم أنني لا أريد أن أثقل عليك، فأنا أرى، إذا كنت ستساعدني في السفر إلى فرنسا، انه علي أن استعير منك معطفاً مهما كان نوعه، وإلا قد اموت برداً أثناء السفر.»

فقال الماركيز بقسوة: «إذا أنت مت، فسيكون الذنب في ذلك ذنبك. كان عليك أن تدركي أن من الخطأ التفكير في السفر في مثل هذا الوقت من السنة.»

أجابت: «لقد فكرت في ذلك طبعاً. ولكنني أفضل ثلوج جبال الهملايا أو بلاد الاسكيمو، على أن أحتمل المصير الذي كان سينتظرني في لندن.»

نظر إليها متوقعاً أنها ستخبره بالمزيد عن نفسها، ولكنها جلست إلى جانبه في الظل حيث لم يكن يصل إليها ضوء القمر من النافذة، فكان لا يرى منها سوى رأسها.

أطلقت كارا ضحكة قصيرة ثم قالت: «أنا أعلم ما تتوقع معرفته مني. ولكن عليك أن تنسى هذا. إن المشكلة الوحيدة هي ما إذا كنت من الكرم بحيث ترسلني إلى فرنسا بصحبة مرافق. أو كما سبق وطلبت منك، هو أن تنزلني في أقرب مدينة فأتكفل بنفسي.»

قال: «هنالك رأي أفضل بكثير، وهو أن تعودي إلى

بيتك. مهما كان وضعك هناك سيئاً، أؤكد لك أنك ستواجهين في فرنسا ما هو أسوأ بكثير. وحتى في أكثر المدن الريفية هدوءاً، سيجدك الريفيون موضعاً للسخرية.»

فقالت كارا: «دعنا نتحدث في موضوع أكثر أهمية. أو ربما لا تحب التحدث أثناء السفر.»

أجاب الماركيز: «انها فكرة حسنة.»

«كان والدي دوماً يقول إن النسوة الثرثارات شيء لا يحتمل، خصوصاً أثناء السفر عندما تقرقع عجلات العربة.»

فارتسمت على شفتي الماركيز ابتسامة ساخرة وساد صمت قصير قالت بعده: «حيث انني ابتدأت أشعر بالدفء، فقد بدأت أشعر بالنعاس.»

«يمكنك إذن أن تنامي.»

أجابت: «سأفعل على أن تعدني بأن لا تستغل الفرصة فتلقي بي في قناة للري أو ربما تعيدني في مركبة سفر عامة إلى لندن.»

سألها: «هل تظنين حقاً أنني قد أقوم كهذين العملين؟»

اومأت برأسها قائلة: «كلا، لأنك تعتبر هذا منافياً للروح الرياضية. ولهذا فأنا أثق بأنك ستوقظني حين نصل إما إلى الريف بروم وإما إلى... حيث علي أن... أتركك...»

وتلاشى صوتها مع آخر كلمة، فأدرك أنها قد استسلمت إلى النوم.

بعد ذلك بفترة قصيرة، إنزلق رأسها إلى الوسائد في زاوية العربة فأدرك أنها مستغرقة تماماً في النوم، وقد تكومت على نفسها كالطفل في السرير.

مد يده وجذب الدثار فوقها، ثم عاد وجلس مكانه وأغمض عينيه مفكراً أن عليه هو أيضاً، أن ينام.

لكن ذلك كان مستحيلاً، فقد كان يشعر بالحيرة في من عساها أن تكون وماذا عليه أن يفعل بالنسبة إليها.

كان واضحاً أنها ذات تربية حسنة وثقافة عالية، وكذلك كانت لديه فكرة في أنها لا بد ستبدو جميلة في وضح النهار.

كان يعلم أن عليه أن يصل إلى قرار نهائي بشأنها وذلك قبل الوصول إلى بروم، لأنه احضر معه، من لندن، امرأة تتنكر بزي غلام، كفيل بأن يطلق الالسنة الثرثارة والشائعات التي سرعان ما ستنتشر في المجتمع وكأنما حملتها الرياح.

إذ حدث الماركيز نفسه بأنه لا يريد اية فضيحة في بيته، وجد أن الحل الافضل لهذه المشكلة هو أن يمتثل إلى طلب كارا فينزلها في أقرب مدينة ريفية سيمرون بها خلال نصف ساعة من الآن وقبل وصولهم إلى الطريق المؤدي إلى قصره في بروم.

لكنه ما لبث أن أدرك، أن حلاً كهذا لهو مستحيل. فإذا كانت كارا تجهل مقدار الاخطار التي ستواجهها، بصفتها إما غلاماً يرتدي ملابس الرجال، وإما فتاة ترتدي ملابس الغلمان، فهو لا يجهلها ابداً.

ذلك أنه، بالنسبة إلى الاضطراب والقلق الذي يعم البلاد، وهو شيء طالما حاول أن يلفت إليه أنظار مجلس الوزراء مرة بعد مرة دون تجاوب كاف منهم، كان يدرك أن المدن الريفية، والتي كانت تشتد فيها الضائقة المعيشية، كانت تغلي، نتيجة لذلك، بالاستياء والاستنكار اللذين كانا يصلان إلى حد ارتكاب الجرائم.

كان ثلاثة أرباع الوزراء من نبلاء المملكة، والذين، رغم لكل ما كانوا يسمعونه، ورغم تحذيرات الماركيز، اصروا على قمع بوادر الثورة الاجتماعية تلك، بالعنف.

كانت حرية التعبير بالكلام قد منعت أثناء حروب نابوليون، كما زال هذا المنع مستمراً. وهكذا، من بين الالف والخمسمائة رجل الذين تظاهروا في شمال انكلترا احتجاجاً على غلاء ثمن الخبز، حكم على أربعة وعشرين منهم بالاعدام. وسجن رجال كثيرون، كما نفي البعض وذلك لاحتجاجهم على رواتبهم القليلة، وظروف حياتهم الصعبة.

كان الماركيز على اقتناع تام بأن هناك مشاكل كثيرة امامهم في المستقبل المنظور.

لهذا، كان من المستحيل، بالنسبة إليه، أن يفكر في ترك فتاة بمفردها وهي التي لا فكرة لديها عن الاحوال السائدة في انكلترا، سواء في المدن أم في الارياف. فالنقود التي تحملها، ستسلب منها حالما يعرف بها أي عامل جائع، وإذا ما فكرت في المقاومة، فمن المحتمل أن تفقد ذلك حياتها.

أخيراً، قرر أن أفضل ما يمكنه عمله هو إرسالها إلى فرنسا حسب رغبتها حيث لا يعود مسؤولاً عنها.

لكن فكرة ترك فتاة كان واضحاً من أنها ذات نشأة كريمة، لم تبعث الارتياح إلى نفسه.

وعندما وجد الجياد تتحول لتنفذ من بوابات الطريق المؤدي إلى قصره، والذي تحف به أشجار السنديان من الجانبين، لم يكن قد توصل بعد، إلى اي قرار بشأنها.

مدّ يده ليهزّ كارا التي سرعان ما استيقظت، فسألته وهي تجلس: «ما هذا...؟ ماذا... حدث؟»

قال: «استيقظي. لقد وصلنا إلى منزلي. أجد نفسي مرغماً على تقديم غرفة لك لتمضي فيها هذه الليلة.»

فأخذت تتثاءب، ما جعله يدرك بأنه كان أيقظها من سبات عميق.

قالت: «غرفة... أمضي فيها الليلة...؟»

أخذت تكرر ذلك وكأنها تريد أن تطمئن، ثم سألته: «هل سترسلني غداً إلى فرنسا؟»

أجاب: «سأفكر في ذلك. ولكن، حالياً، أفضل أن لا يراك خدمي في مثل هذا التنكر المشين.»

أزاح، أثناء كلامه، الكاب المبطن بالفرو عن كتفيه وهو يقول: «الافضل أن ترتدي هذا، وارجوك، أن تجتهدي في ستر ثيابك قبل أن أسلمك إلى مدبرة منزلي.»

فقهقهت كارا ضاحكة: «هل يخجلك ان أظهر بالسروال؟»

«إنني دهش وخجل في آن معا إذ أرى شابة في سنك بمثل هذا المظهر البعيد عن الحشمة.»

فردت عليه قائلة بحدة: «هذا هراء. فإذا كانت الحفلات التي تقيمها مع أصدقائك، والتي يدور الهمس حولها لا تخجلك، فلن تشعر بالخجل مني طبعاً.»

كان الماركيز على وشك أن يسألها عما كانت تسمعه عن حفلاته تلك، عندما انتبه إلى أن الجياد قد وصلت تقريباً إلى أمام المنزل حيث كان الخدم يقفون أمام الباب المفتوح الذي كان ينساب منه ضوء ذهبي ينير الدرجات.

أمرها قائلاً بحدة: «أستري ثيابك.»

أمرها وكأنها أحد جنوده، وهذا ما جعل كارا تضحك،

بينما أخذ هو يحكم من وضع الكاب الثمين المبطن بالفرو حول كتفيها.

كانت ضئيلة الجسم كما سبق وتكهن بشأنها. وما أن وصلا إلى الردهة، المضيئة بسلمها المصنوع من الابنوس المذهب، حتى رآها وقد التفت بالكاب تماماً والذي كان يصل إلى الأرض تقريباً، ما أكسبها مظهراً على شيء من الاحترام.

قال مخاطباً رئيس الخدم: «برفقتي ضيفة لم يكن متوقع حضورها يا نيومان، اطلب من السيدة بيل ان توافيني بأسرع ما يمكن.»

اجاب رئيس الخدم: «حسناً يا سيدي.»

ولم يبد على وجهه الجامد الملامح أي مظهر للدهشة لاستدعاء مدبرة المنزل، والتي كادت تبلغ الستين من العمر، من نومها لترتدي ملابسها وتقف انتظاراً لأوامر الماركيز وذلك في الساعة الثانية، بعد منتصف الليل.

اتجه الماركيز نحو المكتبة حيث كان يعلم أنهم سيوافونه بالسندويتشات ليأكلها، حيث تجهز دائماً له عند وصوله إلى المنزل.

كذلك بعض الحساء الساخن الذي لا بد من أن يكون في طريقه من المطبخ الآن حيث كان الطاهي ينتظر وصوله بفارغ الصبر.

بعد أن قدم الخادم الحساء إلى كارا، وتناول الماركيز القليل منه، قال: «هل تحبين أن يؤتى لك بشيء آخر؟»

كانت هي المرة الاولى منذ وصولهما إلى المنزل، التي يخاطب فيها كارا، حتى انه لم يلق نظرة على وجهها، ربما لأنه كان خائفاً مما قد يراه.

الآن، وهي تجلس بجانب المدفأة التي كانت النار تشتعل فيها، وقد تدثرت بالكاب الفرو بأحكام، رأى شكلها مختلفاً عما كان يتوقع.

لأنه كان يعلم أن شعرها أشقر، فقد ظن أنه سيكون مكتملاً بعينين زرقاوين وربما بشرة وردية كما هو المتوقع بالنسبة إلى أي فتاة انكليزية نموذجية.

لكن، بدلاً من ذلك، كان لكارا وجه مستدير الشكل، كما كانت عيناها خضراوين بدلاً من أن تكونا زرقاوين، وقد انحرفت زاويتاهما قليلاً إلى أعلى، كما كانت هناك غمازتان على جانبي فمها، هذا إلى أنف أرستقراطي مستقيم.

وما أن أخذ الماركيز يتفحصها بنظراته التي كانت عادة تدخل الرهبة والتوجس إلى نفوس الآخرين، حتى ابتسمت كارا قبل أن تسأله: «هل رأيتني أسوأ أم أفضل مما تصورتني؟»

أجاب: «إنني أحاول أن أقرر، إذ أن الامر، بالنسبة إليك، هو سيء حتماً، لأن منظرك هذا يجعل من المستحيل علي أن أرسلك إلى فرنسا حتى ولو بصحبة مرافق.»

فسألته: «ما الذي تعنيه بذلك؟»

أجاب: «أعني لأنك فتية جداً كما جميلة جداً ومن أسرة محترمة دون شك.»

قالت: «كيف يمكنك أن تكون بهذه السخافة؟ إنك لا تعرف عني شيئاً. إنني لست سوى فتاة غريبة متعبة كانت قد أقحمت نفسها بشؤونك، ذلك لأنني كنت بحاجة إلى من يوصلني. لا أريدك أن تعاملني كسيدة راقية... فأنا لست كذلك.»

أجاب الماركيز: «هذا أمر أحكم عليه بنفسي حتى ولو لم تكوني سيدة راقية، فأنت شابة صغيرة وفي سن تحتاجين فيه إلى من يحرسك، سواء شئت أم أبيت.»

تناولت كارا المزيد من الحساء قبل أن تقول: «يا لك من شخص مملّ. عليّ الآن أن أهرب منك كما سبق وهربت من...»

سكتت وكأنها أدركت أن ما كانت على وشك قوله، كاد ان يفشي بسرها.

ثم، وكأنها شعرت بأن الماركيز يرهف بسمعه لما تقوله وكأنه يريد أن يستخلص منها الحقيقة، قالت: «بما أنك من الشهامة بحيث تقدم إليّ غرفة أمضي فيها هذه الليلة، اتمنى لو بامكاني الذهاب إليها الآن. فأنا من شدة التعب بحيث أخشى أن تصدر عني بعض الحماقات ما قد أندم عليها عند الصباح.»

قال الماركيز: «سأسمح لك بالصعود إلى غرفتك وإنما بشرط.»

«وما هو؟»

«هو أن تعطيني كلمة شرف، وأن تقسمي بأغلى شيء عندك، بأن لا تهربي إلا بعد أن نتباحث معاً في ما عليك القيام به.»

ساد الصمت لفترة قليلة، ثم أجابت: «وإذا رفضت؟»

قال: «إنني، عند ذاك، إما أقفل عليك باب الغرفة طوال الليل، وإما أطلب من مديرة منزلي بأن تبقي خادمة في غرفتك كي لا تهربي.»

استقامت كارا في جلستها، ثم نظرت إليه بعينين

www.rewity.com/vb
روايت

غاضبتين وهي تقول: «كيف تجروء على مثل هذا العمل معتبراً نفسك مسؤولاً عني؟»

ضحك الماركيز ثم قال: «انك الآن تبدين كالنمرة أكثر منك السيدة الراقية. ومع هذا، حتى النمرة المتوحشة توضع في قفص أثناء الليل.»

قالت: «ربما أخطأت عندما اخترت عربتك عند خروجي من لندن. كان بإمكاني ركوب عربة فتى لا تجر عربته سوى أربعة جياد وأغادر معه دون أن ينتبه إليّ.»

فكر الماركيز في مبلغ براءتها التي جعلتها لا تدرك أي وضع كانت ستجد نفسها فيه مع أي فتى، ولكن لم يكن ثمة موجب يدفعه لهذا القول، واكتفى بأن قال: «ستصل مدبرة منزلي الآن. أتحبين أن تنام الخادمة معك في الغرفة، أم أنت مستعدة لاعطائي كلمة شرف؟»

سألته: «وكيف تعلم ما إذا كنت سأفي بكلمتي؟»

أجاب: «بنفس الطريقة التي ستجعلك تثقين بكلمتي بصفتي رجلاً ذا روح رياضية.»

عند ذلك فتح الباب، فقالت كارا بسرعة: «إني أعطيك كلمة شرف.»

لاحت على شفتي الماركيز ابتسامة باهتة وهو يستدير ليحيي مدبرة المنزل التي وقفت أمامه بثوبها الاسود دون أن يبدو عليها أي انزعاج وهي تتلقى أوامره في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل.

* * *

سلم الماركيز ممنون إلى اثنين من السائسين، فاستلما

لجام الحصان القوي بشيء من التوجس، ثم صعد الدرجات الى الباب مفكراً أن ترويض كارا هو بنفس صعوبة ترويض هذا الحصان الذي أعطاه الآن درساً لن ينساه.

عندما اصبح في الردهة، ناول الخادم القبعة العالية والقفازين والسوط، بينما مشى رئيس الخدم أمامه إلى حيث فتح له باب غرفة الافطار، وهو يقول: «أظن أن السيدة الشابة قد ابتدأت بتناول طعام الافطار، يا سيدي. فقد أخبرتها بألا تنتظر قدومك.»

لم يجب الماركيز. لقد كان يعلم أن ترويض ممنون قد أخره ساعتين تقريباً، ولكن لا نية له في الاعتذار لضيفة لا يريدها ولم يدعها في الاساس إلى منزله.

دخل الغرفة وهو يتساءل كيف ستبدو كارا هذا الصباح.

كانت تجلس إلى المائدة المستديرة قرب النافذة، وعندما دخل وضعت من يدها الشوكة والسكين لكي تقف وتنحني له احتراماً.

كانت ترتدي ثوباً جميلاً بسيط الطراز بدا للوهلة الأولى يلائمها تماماً. لكن عيني الماركيز الخبيرتين اكتشفتا، بعد لحظة، أنه واسع عند الخصر، فشدّته بوشاح عريض.

قالت تعاتبه: «لقد كنت تمتطي صهوة جوادك، يا ليتك دعوتني معك في هذه النزهة.»

فقال بغرسطة: «صباح الخير يا كارا! لو كنت فكرت في دعوتك، وهذا لن يحصل، لما كنت توقعت أن تسحبي من جيبك ملابس الركوب.»

اطلقت ضحكة قصيرة وهي تعود للجلوس، بينما كان الخادم يضع أمامه طعام الافطار وآخر يسكب له القهوة.

كما وضع رئيس الخدم الخبز المحمص أمامه وبجانبه طبق من الزبدة الطازجة، ثم وضع جرساً إلى يساره.

كانت كارا تراقب كل هذه الرعاية التي يحيطه بها الخدم، لتقول بمرح: «لا عجب في أنك لا تريد الزواج! لا حاجة بك إلى ذلك وحولك كل هؤلاء الخدم للعناية وللاهتمام بك. لقد كانت مدبرة المنزل تتحدث عنك وكأنها تتحدث عن طفلها.»

منع الماركيز نفسه عن الضحك، ثم قال: «إذا كنت تحاولين استفزازي، يا كارا، فالوقت ما زال مبكراً لذلك، ثم إنني جائع جداً.»

قالت: «هذا لأنك كنت في نزهة فوق صهوة جوادك. وأنا اعتبر عدم دعوتك لي، تقصيراً في واجب الضيافة. فأنا واثقة من أنه لا بد وهناك ملابس ركوب نسائية في مكان ما من هذا البيت.»

سألها: «وما الذي يدعوك إلى هذا التفكير؟»

«لأن مدبرة منزلك لديها خزانة مليئة بثياب تعود إما إلى أقاربك، سواء أمواتاً أم أحياء، وإما إلى ضيوف باتوا عندك ثم نسوا بعضاً من ملابسهم، كما أن هناك ملابس لك قد ضاقت عليك.»

قال الماركيز بحدة: «أما هذه، فليس لك أن تمسيها من فضلك.»

أجابت: «لديك الكثير منها. ثم إنها تلائمني أكثر بكثير من بذلة كلية إيتون التي كنت أرتديها. وإذا كنت سأسافر إلى فرنسا، فستكون الرحلة أكثر يسراً إذا قمت بها متنكرة بزي فتى.»

قال: «إذا رأيتك ترتدين ملابسي، فسأعاملك كما أعامل

أي رجل وذلك بأن اشبعك ضرباً مبرحاً، وهذا ما تستحقينه على كل حال.»

قالت: «ها قد عدنا إلى ما كنا عليه الليلة الماضية، بالمناسبة، ما الذي ستفعله بالنسبة إليّ؟»

أجاب: «لم أقرر بعد. ولكن قبل ذلك، أريدك أن تخبريني بكل شيء عن نفسك.»

ساد الصمت لحظة قالت كارا بعدها: «ما الذي تريد معرفته بالضبط؟»

أجاب: «أولاً، من أنت؟ وثانياً، لماذا هربت؟»

ابعدت الصحن جانباً، ثم وضعت مرفقيها على المائدة، لتسند ذقنها بيديها.

بدت لعيني الماركيز، والضوء المنبعث من النافذة ينعكس على شعرها، في منتهى الجمال ونضارة الصبا.

حتى لا يستطيع أن يدرك سر تلك الجاذبية التي تشع من ملامح وجه كارا والتي تجعل من الذي يراها، لا يستطيع نسيانها أبداً.

فكر في أن ذلك قد يكون راجعاً إلى شعرها القصير غير المنتظم. فقد لاحظ فيه جاذبية خاصة لم يلحظها سوى في شعر اللايدي كارولين لامب.

مهما كان شعوره نحو كارا، فقد كان ثمة شيء واضح فيها، وهو أنها من بيئة راقية، وهذا ما يجعل إرسالها بمفردها، أو حتى مع مرافق إلى بلد بعيد مثل فرنسا، تصرف غير حكيم أو مسؤول منه.

كان يفكر في كل ذلك وهو يحدق فيها دون وعي منه، إلى أن قطعت عليه تأملاته بقولها: «أرجو أن تلاحظ، بعد

تأملاتك هذه، صفاتي الحسنة دون التركيز على السيء منها.»

قال بحدة: «إنني لا أعجب بك بصفتك فتاة، وإنما أحاول أن أقرر ما علي القيام به بالنسبة إليك كإنسان.»

أجابت: «إذن، أرسلني إلى فرنسا باعتباري إنساناً أو لنقل امتعة غير مرغوب فيها. سأذهب إما متنكرة بزي غلام، وإما كما أنا كفتاة، وذلك حسب مشيئتك، وعندما تتخلص مني، لا يبق ثمة حاجة بك للتفكير بأمري مرة أخرى.»

ساور الماركيز شعور غريب بصعوبة هذا الامر، وبأنه سيقلق لأجلها رغم مدة تعارفهما القصيرة.

قال: «إن ما أطلبه منك الآن هو أن تدعيني أتناول طعامي بسلام. وبعد ذلك أقرر، بعد أن تخبريني بقصتك، الوسيلة التي قد أساعدك بها. ولكنني أحذرك من أنني سريع في اكتشاف الكذب، إذا أنت فكرت فيه.»

ضحكت كارا ضحكة بسرور وقالت: «أحقاً؟ يا لك من غبي. أتظنني لا أعلم ذلك؟ طبعاً ليس هناك من يكذب دون ان تكتشف أنت امره. إن فطنة اكتشاف الكذب عندك مرهفة مثلها عندي أنا. وفطنتي تخبرني بأنك ستساعدني مهما حاولت المراوغة أو التملص من الفخ الذي أوقعتك فيه.»

فسألها: «الفخ؟»

فقالت بسرعة: «آه، لا تخف. فإذا كنت تظن أنني سأوقعك في فخ الزواج، فأنت مخطىء تماماً. لقد قررت عدم الزواج أبداً، وهذا قرار نهائي. كما لا أنوي الدخول في أي مناقشة مع أحد بهذا الامر.»

كانت تتكلم بحماس فائق جعل الماركيز ينظر إليها

بدهشة قبل أن يقول: «لديّ إحساس بأن احدهم يرغمك على الزواج، وهذا ما جعلك تهربين من المنزل.»

ابتسمت له قائلة: «بصراحة، إن فطنتك تدهشني.»

قال بحدة: «إنا ما تقولينه لهو إهانة لي.»

أجابت: «كلا، أبداً. فالرجال الفطنون هم القلّة من الناس، انهم عادة يكوّنون عن المرأة فكرة تنمو معهم على مر السنين، ربما كانوا قد اكتسبوها عن أمهاتهم أو شقيقاتهم ومربياتهم أو حتى آبائهم.»

أطلقت ضحكة قصيرة قبل أن تتابع قائلة: «وهذا يعني طبعاً أن المرأة، حسب رأيهم، ما هي سوى دمية لا فكر خاص بها.»

فسألها: «هل خاطبك هو بهذا الشكل؟ وهل هذا ما منعك عن الموافقة بالزواج منه؟»

كان ينتظر منها الجواب على هذا السؤال الصريح، ولكنها ارتجفت قليلاً وهي تقول: «إنه فظيع كريه، ومقزّز للنفس. إنني أفضل الموت على أن أكون زوجته.»

قال برقة: «وهذا ما سيحدث بكل سهولة إذا أنا لم أهتم بك. ولكنني لا أظن انه الرجل الوحيد في العالم.»

«إنه الرجل الوحيد المسموح لي بالزواج منه.»

سألها: «وهل هناك شخص آخر ترغبين بالزواج منه؟»

نظرت إليه وقالت: «ها أنت ذا تحاول أن تبني قصة شاعرية. كلا! وكما سبق وقلت لك، أنا لا أنوي الزواج، ولهذا السبب أنت بمنأى عني تماماً، إذا كان هذا ما يقلقك.»

ألقى الماركيز برأسه إلى الخلف وقهقه ضاحكاً: «لشد ما أنت صريحة، يا عزيزتي كارا. ولكن تنقصك المجاملة.»

سألته: «ولماذا أجامل؟ لقد كنت قد سمعت الكثير عن جاذبيتك وكيف تحوم النساء حولك كالفراشات الغبية حول القنديل. أطمئنك إلى أنني سأقول لك كلا، حتى ولو رجوتني وتوسلت إلي بأن أكون زوجتك. صدقني انني أكره الرجال... جميع الرجال.»

كانت تقذف كلماتها بعنف كما كانت قد فعلت الليلة الماضية حين دعاها الماركيز بالنمرة المتوحشة وبعد لحظة، سألها بهدوء: «ما الذي فعله أحد الرجال بك ليجعلك تتحدثين بهذا الشكل؟»

حبست كارا أنفاسها، وبدت في عينيها نظرة غريبة لم يستطع تفسيرها. ثم قالت: «لا أريد التكلم عن الماضي، لا يهمني سوى المستقبل، وحيث انه يبدو عليك شيئاً من التعقل، ارجو منك أن تتفهم رغبتي في الرحيل بسرعة كي لا يعثروا عليّ هنا أو في أي مكان آخر في انكلترا.»

سألها: «وماذا سيحدث لو عثروا عليك؟»

نظرت إليه، ورأى في عينيها الخوف الشديد الذي لم يره في عيني امرأة من قبل.

قالت: «ربما تعتقد انني أمثل دوراً مسرحياً، ولكنني أفضل الموت على أن اوافق على ما يريدونه لي والذي أؤكد لك أنه أسوأ شيء في هذا العالم.»

كانت تتكلم بصوت حزين منخفض وهادىء، حتى ان المركيز لم يستطع تجاهل نبرة الصدق فيه.

لم يضحك منها كما لم يناقشها، لكنه قرع الجرس، وعندما أسرع إليه رئيس الخدم، تناول منه الطبق الساخن الذي كان هذا يحمله إليه، ثم ملأ فنجاناً آخر من القهوة

بصمت، لكن عندما خرج الخادم مرة أخرى تاركاً إياهما بمفردهما، انتبه إلى أن كارا كانت تتأمله بنفس الطريقة التي كان يتأملها فيها قبل الآن.

تناول شيئاً من طعامه قبل أن يخاطبها قائلاً: «حسناً؟ على ماذا انتهت إليه تأملاتك؟ هل اكتشفت صفاتي الحسنة؟»

«القليل منها. أراك شخصاً تحب السيطرة، مستبداً، وتخيف معظم الناس، رغم أنك لا تخيفني.»

فسألها: «لماذا لا أخيفك؟»

«سأجيب على هذا السؤال بعد قليل. عندما اكتشف بأنني على صواب في ما أظنه بك حالياً.»

قال: «أشعر بخيبة أمل. لقد ظننت، بعد كل ما قلته، أنك حاضرة البديهة وبامكانك ان تكوني رأيك بسرعة.»

«أعرف ان بإمكاني الوثوق بك، إذا كان هذا ما تعنيه، وعندما تقول بأنك ستساعدني، ستفي بوعدك وتساعدني، ولكنني، في الواقع، أفكر فيك الآن.»

فقال: «مع انك قلت لي قبل الآن بأنك تكرهين الرجال.»

فأجابت: «لديك ميزات تذكرني بوالدي.»

قال: «حيث أنني أرجو أن يكون ما تقولينه مديحاً، فأنا أحب أن أسمع المزيد منه.»

«يدهشني أن ألمس لديك الروح المرحة، وهو شيء لم اتوقع ان اجده فيك.»

قال بشيء من السخرية: «أشكرك.»

فقالت: «إذا كنت تريد المديح، فهناك الكثير من النساء غيري للقيام بذلك، وحسب ما سمعته، ليس في المجتمع

الراقي، ولكن أيضاً في مجتمعات اخرى قيل لي انه لا ينبغي لسيدة محترمة أن تفكر حتى بالتواجد فيها.»

فسألها: «لماذا تتحدثين عنها إذن؟»

«لأن الرجال أمثالك ينجذبون إليها.»

فقال بحدة: «ما كان لك إذن أن تأتي على ذكرها.»

«إنها تهمني لأنها تريني العالم أكثر تعقيداً وإثارة للفضول من حياتي التي يطلبون مني الاستمتاع بها بصفتي مبتدئة في الدخول إلى المجتمع.»

تنهدت ثم تابعت تقول: «وهذا ما يبعث السأم إلى نفسي بشكل هائل، حيث ليس أمامي سوى الزواج حيث تجلس الواحدة منا بانتظار الزوج الذي يختارونه لها.»

كانت قد عادت إلى قذف كلماتها بعنف، ما جعل الماركيز يضحك وهو يقول: «لديك تعبيرات غريبة، لكنني أفهمها جيداً. انما ليس هناك من يستطيع إرغامك على الزواج من شخص لا تريدينه.»

حدّقت إليه للحظة ثم قالت: «إن ما تقوله الآن هو أول قول غبي اسمعه منك منذ ان تقابلنا.»

فسألها: «من هو الذي يرغمك على الزواج؟ هل هو والدك، أم لعله الوصي عليك؟»

أجابت: «أنك تحاول استدراجي بمهارة لاقول لك ما لا أريد اطلاعك عليه، ذلك أنني إذا أخبرتك الآن بما تريد أن تعرفه، فستجعلني سجينة عندك لتسلمني بعد ذلك إلى من سيكون موتي على يديه.»

هتف: «لا أصدقك. ثم إنني أكره التصرفات الهستيرية أثناء تناول الافطار.»

قال هذا بطريقة كانت ستصدم أكثر الناس الذين يعرفهم، فيسارعوا عندها إلى الاعتذار بتلعثم وارتباك.

لكن كارا لم تفعل سوى أن ضحكت، فتردّد صدى ضحكها هذا في أنحاء الغرفة ممتزجاً بأشعة شمس الشتاء التي اطلت من بين السحب القاتمة والمتراكمة في السماء.

قالت: «إنك بالغ في الحساسية، وأنا أسحب ما سبق وقلته من أنك غبي. إنك تحاول اغضابي وذلك كي أخبرك بما تريد معرفته.»

ضحكت مرة أخرى ثم تابعت تقول: «إنها خدعة قديمة كان قد لجأ إليها الثوار الفرنسيون عندما كانوا يستجوبون الارستقراطيين فيجبرونهم بصورة غير مباشرة على الاعتراف.»

سألها بابتسامة ساخرة: «وما ادراك بذلك؟»

«من الغريب أنني، بعكس الفتيات اللواتي في سني، لأنني أحب المطالعة. ولأثير فيك المزيد من الفضول، أقول بأن من بين كل ما قرأت ليس بنصف مقدار الاذى والاذلال اللذين أواجههما في الحياة الحقيقية.»

كانت تتكلم بطريقة جعلت من الصعب على الماركيز ألا يصدقها أو أن يظنها لا تعرف ما تقول.

كانت تبدو غاية في صغر السن، ولكنها عندما تتكلم بذلك الصوت الهادىء الرزين، كانت تمنحه شعوراً بأنها كبيرة السن.

ابعد الصحن جانباً، ثم اتكأ في كرسيه إلى الخلف وهو يقول: «أتمنى لو تثقين بي، يا كارا. فإذا كنت تريدين المساعدة مني، عليك أن تكوني عاقلة وان تخبريني

بالحقيقة لكي أستطيع الحكم في ما لو كان وضعك هو من السوء والفظاعة بالدرجة التي تظنين.»

أخذت تحدث نفسها أن عليها عدم الاستماع إليه، لأنه يحاول من جديد أن يوقعها في الفخ لكي يستخلص منها ما لا تريد أن تخبره به، فتح باب الغرفة فجأة وارتفع صوت رئيس الخدم معلنا: «السيد ماتلوك، يا سيدي.»

شعر الماركيز للحظة بأنه لا يمكن أن يكون قد سمع جيداً ما قاله الخادم.

لكن، ها هو ذا الرجل الذي يكن له كل الكراهية، يدخل الغرفة ويتبعه اثنان.

ساد الصمت في المكان، وإذا بكارا تطلق صرخة خافتة كحيوان صغير وقع في المصيدة.

ثم هتفت: «عمي... ليونيل!»

وكان صوتها ينبض بالخوف.

الفصل الثالث

مضت لحظة لم يستطع فيها الماركيز إلا أن يحدّق في ماتلوك بذهول تام.

كان رجلاً متوسط العمر، لكن ملامحه الآن لم يكن يعلوها الفساد والاشمئزاز فقط، وإنما أيضاً العداء والكراهية لرؤية الماركيز.

كان يبتسم ابتسامة بغيضة عندما دخل الغرفة، كما كان بريق الظفر يشع من عينيه، ما لم يستطع الماركيز أن يجد له تفسيراً.

لم يشأ أن يقف له بل سأله: «هل لي أن أعلم سبب وجودك هنا، يا ماتلوك، في مثل هذا الوقت الباكر من الصباح؟»

كان أثناء كلامه قد رأى ماتلوك في ثياب الركوب وقد غطى التراب حذاءه، بينما كان يحمل في يده السوط.

كان واضحاً أنه قادم من رحلة طويلة وشاقة على صهوة جواده، وبنظرة سريعة إلى الرجلين اللذين يرافقانه، انبأت الماركيز بالقصة نفسها.

كان احدهما ذا وجه نحيل وأنف طويل وشعر أشقر، أما الثاني فقد كان يضع عصابة بيضاء.

وهو أشيب الشعر ذا وجه نحيل شديد الشحوب ما يحمل من يراه، على الظن بأنه قريب من التضور جوعاً.

سار ماتلوك مباشرة نحو الماركيز متجاهلاً كارا، ثم قال: «إنني هنا، يا بروم، لأخبرك انك في النهاية، قد اصبحت حيث كنت أريدك دوماً أن تكون... أي تحت رحمتي.»

لم تتغير ملامح الماركيز، ولكن نظرة حذرة بدت في عينيه وهو يجيبه: «ليس لدي أدنى فكرة عما تتكلم به، لذا أرى ان تفسر لي سبب مجيئك، وكذلك بالنسبة لهذين الشخصين، إلى منزلي دون دعوة مني.»

قال ماتلوك بإشارة متغطرسة: «دعني أقدمهما إليك. محامي الخاص جايك، ثم حضرة رجل الدين الموقر ادولفوس جينكينز، والذي لا اظنك قابلته من قبل، حيث ان اكثر عملائه من سجن الأسطول الحربي.»

كان يتكلم بسخرية، ولكن نبرة الحقد كانت تتخلل صوته لم تكن لتخفى على احد.

كان رفيقيه يقفان عند الباب، وكان الماركيز قد لاحظ ان كارا قد تركت المائدة ووقفت عند الجدار مبتعدة عن ماتلوك قدر الإمكان. خامره شعور بأنها متلهفة إلى الهرب من الغرفة لولا وقوف مرافقي ماتلوك عند الباب، بينما النوافذ التي تطل على الحديقة كانت مقفلة بإحكام.

سادت لحظة صمت تنذر بالشر، قال الماركيز بعدها: «مازلت لا افهم سبب وجودك هنا.»

أجاب: «سأجعل الأمر اكثر وضوحاً، إنني اتهمك يا بروم بخطف فتاة قاصر.»

تسمّر الماركيز مكانه، دون حراك كما لم تتغير ملامح وجهه، بينما صرخت كارا بصوت مرتجف: «هذا غير صحيح، انه لم يختطفني، أنا التي أخفيت نفسي في عربته.»

لم يلتفت إليها ماتلوك وهي تتكلم، بل حتى ولم يبد عليه أنه سمع ما قالت.

كانت عيناه على الماركيز وهو يقول بوضوح: «إنني على استعداد، يا بروم، لمنحك الخيار بين مواجهة المحاكمة على جريمة عقابها النفي من البلاد، وبين أن تتزوج ابنة أخي على أن تعطيني بالمقابل عشرة آلاف جنيه.»

عندما انتهى كلامه، ساد صمت عميق بدا للماركيز أبلغ من الكلمات.

لقد رأى بوضوح أن ماتلوك يمسك بيده الورقة الرابحة والتي لن يتردد في استعمالها، كان يعلم جيداً أن ما اشعله غضباً مرة تجاهه ليس فقط فوز جياده، في السباق، على جياد ماتلوك، وإنما أيضاً اضطراره إلى ابلاغ نادي الجوكي عن انتهاكات جوكية النبيل لقوانين السباق.

في احدى المرات، ابطلت اهلية جواد يخص ماتلوك كان قد ربح السباق ظاهرياً، وحصل حصان الماركيز على المركز الثاني في هذا السباق.

لقد أدرك، حينذاك، أن الماركيز لن يغفر له هذا أبداً، ولمع في ذهنه الآن أنه قد وضع نفسه، دون قصد، تحت رحمة رجل هو عدو صريح له وقد امتلأ بهجة لهذه الفرصة السانحة له للانتقام.

كان اكثر الأمور مجلبة لحقده، هو أن الماركيز قد استطاع لسنوات طوال، أن يحتفظ بلقب أشهر شخصية في المجتمع الراقي.

لكنه كان قد صمم منذ وقت طويل على عدم الزواج. وما أن انتشر نبأ تصميمه هذا، حتى أثار عاصفة من الأقاويل، كما تعرض للهجاء الساخر باقلام رسامي الكاريكاتور.

كان يفكر، بشكل مبهم، ان عليه، ذات يوم، بانجاب الوريث، وكان يعلم حق العلم نوع الزوجة التي ستؤدي ما يتطلبه دورها بصفتها الماركيزة بروم.

لم تكن فكرته عن الزوجة المثالية تلك، الزواج من فتاة غير ناضجة.

كان أمامه وقت كاف للاختيار، ولانتقاء الزوجة التي تتلاءم مع منهاج حياته والتي ستقوم بما هو مطلوب منها بالضبط.

أما أن يواجه بإنذار نهائي كالذي أحضره إليه ماتلوك الآن، فهذا ما لم يخطر له ببال حتى في أسوأ كوابيسه.

وبسرعة ذكاء، وجد مخرجاً. ثم قال بهدوئه المعتاد الأقرب إلى الجفاء: «لا اصدق ما تقوله، يا ماتلوك، ولا اراه سوى مزحة رديئة عديمة الذوق.»

أجاب ماتلوك بحدة: «انها ليست مزحة رديئة عديمة الذوق، فالسيد جايك مستعد، في حالة رفضك، أن يقدم بدعواي ضدك، والتي سبق ووقعتها، إلى قائد الشرطة في المنطقة. عندها، سيقبض عليك في غضون ساعات قليلة ومن ثم تؤخذ إلى المحكمة في لندن للمحاكمة.»

سكت ليرى تأثير كلماته، ثم تابع يقول: «من ناحية أخرى، حضرة رجل الدين السيد جينكينز، احضر معه قسيمة زواج خاصة استخرجتها قبل مغادرتي لندن، وهي ستمكنه من عقد زواج ابنة أخي، والخيار لك.»

جذب الماركيز نفساً عميقاً، وقبل ان ينطق بكلمة، إذا بكارا تطلق صرخة أخرى ثم تتقدم إلى وسط الغرفة وهي تقول ثائرة: «إذا كنت تظن أنني ساتزوج الماركيز في

ظروف كهذه، فأنت مخطىء تماماً، أنا هربت لأنك كنت سترغمني على الزواج من ذلك الرجل القذر المتوحش، وقد قررت بألا أتزوج أي رجل مطلقاً ولن تستطيع إرغامي.»

لأول مرة منذ ان دخل الغرفة، إلتفت ماتلوك إليها. نظر الماركيز إليه، ولم تفته تلك الكراهية المتدفقة من نظراته نحوها وهو يسألها قائلاً: «هل تتحدينني مرة أخرى؟ حسناً، إنني على استعداد للموافقة على انك اخترت زوجاً أحسن شكلاً من فورستراث، ولكن عليك أن تتزوجيه وكما لا أريد أية مشاهد هستيرية.»

أجابت ثائرة: «إنني لا اقوم بالمشاهد الهستيرية، إنني اخبرك فقط بأنني لن أتزوج من الماركيز ولا من ذلك الوحش السيد مورتمير فورستراث، ولا يصح أي زواج إذا قالت العروس، لا.»

كانت عيناها، وهي تتكلم، تلتهبان، كما كانت الكلمات تتلاحق من بين شفتيها بسرعة وغضب.

لم يجبها ماتلوك لكنه رفع يده ليصفعها على وجهها صفعة قوية أوقعتها أرضاً.

ثم، وبسرعة لم يكد الماركيز يصدق معها ما يحدث، نقل السوط من يده اليسرى إلى اليمنى ليضربها به بكل قوته وهي ملقاة على الأرض.

ضربها مرتين قبل أن يثب الماركيز واقفاً وهو يصرخ به: «كفى، كيف تجرؤ على ضرب امرأة في بيتي؟»

ودفع مائدة الإفطار التي امامه وتقدم نحو ماتلوك شاهراً قبضتيه، وإذا بالسيد جايك يندفع من مكانه عند الباب لمواجهته.

وتملك الماركيز الدهشة وهو يراه شاهراً مسدسه ويأمره قائلاً: «إبق حيث أنت. للوصي الحق القانوني في ان يعاقب من هو تحت وصايته، وذلك بالطريقة التي يراها مناسبة.»

التفت ماتلوك حين سمع محاميه يتكلم، ثم هوى بالسوط على كارا مرة أخرى، وهو يقول: «هذا صحيح. وحين انتهي من هذه المتمردة الصغيرة المتعبة، ستقبل بالزواج من أي رجل لو أمرتها أنا بذلك.»

رفع سوطه مرة أخرى، وحين هوى به على ظهرها، اطلقت كارا صرخة ألم.

رأى الماركيز انه إذا تحرك بسرعة، فسيتمكن من ضرب يد المحامي ملقياً بمسدسه أرضاً، متكهناً ان نسبة نجاح هذه الخطة دون أن تخترق جسمه الرصاصة، هي خمسون في المائة.

وبينما كان يستجمع قواه، إذا به يرى في يد رجل الدين مسدساً آخر مصوباً إليه.

أمام فوهتين مصوبتين إليه، أدرك أن ليس أمامه أي احتمال بالنجاة من السقوط جريحاً، هذا إذا لم يسقط ميتاً.

إذ وقف مشتت الفكر لا يدري ما يفعل، تعالى صراخ كارا مرة أخرى، عند ذلك قال وهو يشعر وكأنه يوقع وثيقة موته بيده: «حسناً جداً، يا ماتلوك، انك المنتصر هذه المرة، والتي أقر بأنها خطة ابتزازية محكمة تماماً.»

فأنزل ماتلوك ذراعه قائلاً: «انني مسرور لحسن تقديرك، يا بروم. وربما أصبح في امكاننا الجلوس الآن للتباحث في شؤون العمل.»

لم يجب الماركيز محاولاً، بجهد هائل، أن يضبط

اعصابه، وإنما سار إلى حيث وقف امام المدفأة، وهو يتساءل عما إذا كان ثمة مهرب له من هذا الوضع، وما هو.

انزل المحامي والكاهن ذراعيهما ولكنهما لم يعيد السلاح إلى الغمد، وعندما نظر ماتلوك إلى كارا، أدرك الماركيز أنه يكبح نفسه عن رفسها بقدمه.

قال لها ماتلوك: «من المؤسف أن زوجك المنتظر قد منعني، بإذعانه السريع، عن متابعة ضربك كما تستحقين. كيف تجرأت على الهرب من منزلي؟»

سكت منتظراً الجواب منها، ثم عاد يقول: «ولكن من يدري؟ ربما بإمكاني أن استفيد من وضعك في المجتمع بشكل افضل مما لو كنت قد تزوجت من مورتيمر فورستراث.»

بينما كان يقول ذلك بغطرسة كريهة أوشكت أن تسمم الجو، تذكر الماركيز فجأة شخصية الرجل الذي كان يتحدث عنه.

لم يكن قد سبق له التعرف إلى السيد مورتيمر فورستراث ولكن على كل حال، فهو يرفض صداقته، فقد كان يعلم أنه غير محبوب في النوادي التي كان عضواً فيها.

لم يستطع الآن أن يتذكر السبب في موقفه ذاك منه، ولكنه يعرف تماماً أن فورستراث ليس بالزوج المناسب لكارا.

عندما انتهى ماتلوك من الكلام، سار نحو الماركيز ثم وقف على بعد خطوتين منه حيث أخذا يحدّقان الواحد منهما في الآخر وكأنهما ملاكمان في حلبة.

ثم قال ماتلوك بنفس الغطرسة الكريهة، وعلى شفتيه ابتسامة: «أريد منك شيكاً بالمبلغ أولاً، يا بروم. وبعد ذلك تبدأ مراسيم الزواج في الحال.»

أثناء حديثه، جرت كارا نفسها على الأرض. إلى أن وقفت.

كانت شديدة الشحوب ما عدا إحدى وجنتيها والتي كانت حمراء من جراء الصفعة التي تلقتها من عمها.

كانت آثار ضرب السوط على ظهرها تؤلمها، ولكن كان كل ما يشغل بالها هو أنها إذا تمكنت من مغادرة الغرفة فقد يكون في إمكانها الوصول إلى الاسطبل حيث تمتطي صهوة حصان وتمضي به بعيداً قبل ان يصل إليها أحد.

وتذكرت فجأة أن ما لديها من نقود ومجوهرات هي الآن في الغرفة التي نامت فيها الليلة الماضية في الطابق الأعلى. ولكنها، حالياً، رأت أن هذا الأمر غير مهم.

المهم هو، أن تتمكن من الهرب فلا ترغم على الزواج من الماركيز، لأنها تعلم أن عمها كان مصمماً على ذلك.

عندما هربت الليلة الماضية من منزله، كانت تعلم أن كل كلامها وتوسلاتها وطلبها الرحمة، كل ذلك لا يمكن أن يغير من عزمه على تزويجها من السيد مورتيمر فورستراث.

كان يريد المال، ويريد التخلص منها ايضاً، لقد هددها بالضرب إلى أن تفقد وعيها إذا هي عادت إلى مجادلته.

لم يكن قد خطر ببالها قط وهي تفرض نفسها على الماركيز، ان عمها لن يعثر عليها فقط، ولكنه أيضاً سيستغل الموقف لابتزاز المال الذي هو بأمس الحاجة إليه، وفي نفس الوقت يكون قد انتقم من اكبر عدو له.

شيئاً فشيئاً، وخطوة خطوة، راجية أن لا يلاحظها أحد، زحفت نحو الباب.

لكن ما أن وصلت إليه، حتى تقدم جايك بضعة خطوات ووقف في طريقها.

لم يكن به حاجة إلى الكلام وإنما وقف هناك فقط... فتأوهت كارا بعد أن لمست هزيمتها، ومن الطرف الآخر للغرفة، قال الماركيز: «دعنا نبحث هذا الأمر بطريقة منطقية، يا ماتلوك. ساعطيك المال، ولكن حيث انك تعلم جيداً أنني لم اخطف إبنة أخيك، فليس ثمة سبب يجعلني من ان أتزوجها. لقد كانت مدبرة منزلي تحرسها طوال الليلة الماضية، وهي امرأة محترمة.»

فقال ماتلوك بنفس الغطرسة: «ليس هناك اي قاض أو محلفون يعتبرون حراسة خادمة مدفوعة الأجر لفتاة صغيرة بريئة أمضت ليلة في قصر الماركيز بروم، شهادة كافية.»

كأنما كان يتعمد استفزاز الماركيز اكثر من ذلك، اضاف قائلاً: «لقد استمتعت بوقتك يا بروم، والآن عليك أن تدفع الثمن بصفتك تتمتع بالروح الرياضية.»

فقال الماركيز بهدوء وهو يغالب نفسه من أن يطرح ماتلوك أرضاً: «سأجعل المبلغ خمسة عشر الف جنيه.»

ضحك ماتلوك قائلاً: «انك رجل غني جداً يا بروم، ومن المفيد لي جداً أن اكون ذا نسب معك. وآمل أن نستمتع معاً، في السنوات المقبلة، بما هو أهم من المال.»

لم يكن ما قاله ماتلوك بعيداً عن الحقيقة، فقد كان الماركيز يعلم انه سيحاول الاستفادة من تلك العلاقة العائلية التي ستكون بينهما، إلى أقصى حد. وهذا ما كان يشعره بالحنق البالغ.

كأنما شعر ماتلوك بأنه تجاوز الحد مع الماركيز، قال له ببشاشة: «اظننا اتفقنا بالنسبة للمسألة التي أتيت لأجلها.

www.rewity.com/vb سنو وايت

وحيث انني لا اظنك تحتفظ بدفتر الشيكات في غرفة الإفطار، أرى من الأفضل أن نذهب جميعاً إلى غرفة مكتبك حيث سنجده هناك.»

كان في استلام ماتلوك لمركز القيادة، واصدار الأمور له وهو في بيته، إهانة كبيرة لا تحتمل، ولكن الماركيز لم يفعل شيئاً سوى أن سار نحو الباب وفتحه.

كانت كارا واقفة هناك، فألقى عليها نظرة عابرة، ثم وقف منتظراً، كما يبدو، لأن تتقدمه.

سارت أمامه ببطء لأنها تعاني من الآلام الشديدة، فتبعها الماركيز وخلفه ماتلوك الذي كان مفعماً بالسرور لنجاح خطته، ومعه رفيقيه.

وإذ كانت كارا لا تعرف طريق غرفة المكتب، وقفت تنتظر إلى أن أصبح الماركيز بجانبها فلحقت به الى غرفة المكتب، بعد أن أدركت أنه لم يعد في وسعها القيام بأي شيء.

دخلوا غرفة واسعة علقت اللوحات على جدرانها، ونجدت مقاعدها بالجلد، وكان هناك مكتب عريض وضع فوقه محبرة ذهبية ضخمة عليها شعار أسرة بروم.

عندما اتجه الماركيز إلى مكتبه، عادت إلى التساؤل مرة أخرى عما إذا كان ثمة فرصة للهرب.

لكنها أدركت استحالة ذلك بينما عمها ورفيقاه يقفان وراءها.

إذ شعرت بأن ساقيها ما عادتا تستطيعان حملها، جلست على الأرض أمام المدفأة، ثم مدت يديها نحو النار تدفئهما مولية ظهرها للغرفة ومن فيها.

لم تنتبه وهي تفعل ذلك، إلى ان الدم الذي اخذ ينزف بسبب الجروح التي احدثها سوط عمها في ظهرها، قد ابتدأ في التسرب إلى الثوب الذي كانت ترتديه.

عندما رفع الماركيز بصره ورأى ذلك، ازداد التوتر في شفتيه عما كان عليه وهو يفتح الدرج الذي امامه.

عندما بدأ بتحرير الشيك، حانت من ماتلوك التفاتة فرأى صينية على منضدة في زاوية الغرفة وعليها انواع مختلفة من العصير، فسار نحوها حيث سكب لنفسه كوباً ولرفيقيه ايضاً تناول كل منهما كوبه بلهفة.

عندما لم ينظر إليه الماركيز، قال ماتلوك ساخراً: «انك ستجد كارا عنيدة صعبة المراس. ولهذا أرى ان تكون هدية الزفاف إليك، هذا السوط الذي استعمله عادة لحملها على الطاعة. وستحتاجه أنت في المستقبل بكل تأكيد.»

ثم سار نحو المكتب يلقي امام الماركيز بالسوط الذي كان ما يزال يحمله بيده.

تجاهل الماركيز ما قاله ماتلوك وما فعله، ووقّع الشيك بإمضائه الشخصي، ثم تركه على المكتب ونهض.

سرعان ما مد ماتلوك يده يلتقط الشيك بلهفة بالغة، ثم أخذ يمعن النظر فيه خوفاً من أية خدعة محتملة.

قال: «هذا جيد، والآن، اظن عليك يا بروم ان ترشدنا إلى الطريق الذي يؤدي إلى الصالون لنعقد الزواج هناك.»

كان يسخر منه مرة أخرى، ولكن الماركيز لم يفعل سوى أن نظر إلى كارا التي التفتت لدى سماعها كلمات عمها.

وإذ أدركت أنهم كانوا جميعاً ينتظرونها، وقفت وكان الشحوب في وجهها قد ازداد عما كان عليه منذ ان خرجوا

من غرفة الإفطار، ما عدا الأثر الذي خلفته صفعة عمها والذي بدا على خدها أشبه براية حمراء.

مشت امام عمها رافعة الرأس، ولكن عندما فتح الماركيز الباب لها لتمر، خطرت ببالها فكرة.

ما أن اجتازت عتبة الباب، حتى استدارت فجأة وصفقت الباب خلفها وأقفلته بالمفتاح، وأخذت تركض بأسرع ما امكنها نحو الردهة حيث اندفعت خارجة من الباب الأمامي.

وكما توقعت، كانت الجياد الثلاثة التي احضرت عمها ورفيقيه، تنتظر في الخارج وقد أمسك بكل منها خادم.

هبطت كارا الدرجات بسرعة إلى حيث ألقت بنفسها على سرج أول جواد وصلت إليه، وامسكت باللجام واندفعت به، وأعين الخدم تحدق في أثرها بذهول، وهي تتجه نحو الجسر الذي يعلو البحيرة.

لم تكن قد مضت بعيداً حين أدركت أن الجواد الذي تمتطي صهوته كان متعباً بعد تلك الرحلة المرهقة من لندن.

فكرت بأن عمها كان قد فضل اجتياز المناطق الريفية على الطرق الرئيسية وذلك توخياً للسرعة. كما وبسبب خشيته من أن تترك بروم قبل وصوله، أسرع بذلك الشكل الذي أرهق الحصان الذي يمتطيه.

لم يكن لدى كارا لا سوط ولا مهماز، ورغم انها كانت تضرب جنبي الجواد بقدميها، إلا ان سرعته خفّت قبل ان تصل إلى نهاية الطريق الفرعي للمنزل.

نظرت إلى الخلف من فوق كتفها، وما أن وصلت إلى بوابات المزرعة حتى رأت جوادين يلحقان بها.

لم يكن من الصعب عليها التكهن بأن عمها قد أرغم

الماركيز على قرع الجرس، أو لعله قرعه بنفسه، فجاء احد الخدم لفتح الباب المقفل.

كان خارج البوابات طريقين متفرعين احدهما إلى اليمين والآخر اليسار. ولأنها تذكرت أن الطريق إلى لندن هو من جهة اليمين، فقد اتجهت من جهة اليسار.

لكن هذا الاتجاه، لم يكن سوى طريق قصير في نهايته جدار عال من القرميد يحدد املاك الماركيز.

تابعت السير، قائمة بكل ما في وسعها لكي تسرع بجوادها مع انها كانت تعلم ان ذلك من دون فائدة.

لخوفها من الرجلين اللذين يلحقان بها، لاحت لها بوابة كانت تؤدي إلى حقل وسط بقعة تغطيها الأشجار فخرجت منها في الحال.

كانت تأمل في الاختباء هناك، ولكن عندما وصلت إلى أول شجرة نظرت خلفها فرأت فارساً يجتاز الطريق الذي كانت تركته لتوها، وانقبض قلبها عندما عرفت بأنه عمها.

عند ذلك أدركت أن الرجلين اللذين كانا يلحقان بها، قد اتجها إلى اليمين بينما اتجه عمها إلى اليسار.

كان يضرب الجواد الذي يمتطيه الأمر الذي جعله يسرع اكثر بكثير من الجواد الذي كان معها.

حيث ان الأشجار كانت منخفضة وعارية من أوراق الشجر في مثل هذا الوقت من العام، أدركت حتى قبل أن تدخل الغابة، أن عمها قد رآها.

أدركت أن لا فائدة من محاولة الهرب وانه من الأفضل لها ان تستدير عائدة في اتجاهه.

كان يلهث بشدة وقد تورّد وجهه، وعندما التقى بها في

منتصف الحقل، صرخ غاضباً: «تباً لك، ماذا تظنين نفسك فاعلة، ايتها اللئيمة؟»

فقالت بجرأة تخفي بها اليأس الذي كانت تشعر به لفشلها في الهرب: «كنت أحاول الهرب منك، يا عمي.»

فقال: «انك ستعودين معي، فإذا كان الماركيز قد هرب في هذه الأثناء، فساضربك إلى أن تتمني لو لم تلدك والدتك.»

فردت عليه بحدة: «طالما تمنيت ذلك منذ اصبحت أعيش معك.»

أدار عمها اتجاه جواده نحو البوابة التي كانا قد دخلا منها إلى الحقل، تتبعه كارا بعد ان وجدت أنه لم يعد ثمة شيء آخر تقوم به.

عندما وصلا إلى الطريق حيث أخذا يسيران جنباً لجنب، قال عمها: «لولا عنادك لعلمت انني بتزويجك من بروم، اقدم لك كل الخير. فمكانتك في المجتمع ستكون مماثلة لأي امرأة في المنطقة تأتي بعد الأسرة المالكة مباشرة.»

«وكذلك ساكون زوجة لرجل يحتقرني ويكرهني لأنني ابنة أخيك.»

بدلاً من أن يغضب عمها، إذا به يقهقه ضاحكاً وهو يقول بلهجة الرضى: «لقد هزمته أخيراً.»

لم تتكلم هي بينما تابع هو يقول: «لقد تغطرس علي، وكان كالشوكة في خاصرتي لخمس سنوات. وها أنذا الآن قد انتصرت عليه ومرغت أنفه في التراب.»

قالت: «لقد أصبح لديك المال الذي كنت تريده فدعني اذهب يا عمي، قل انك لم تجدني ولا تعلم أين ذهبت، إنني ساختفي ولن تراني مرة أخرى.»

أجاب: «إنني لن أتناقش معك، ستتزوجين من بروم وعليك ان تشكريني، ليس ثمة وصي يقوم بما قمت به مع ابنة أخ له لم تسبب له سوى وجع الرأس منذ ان عرفها.»

فقالت: «انك لا تصنع ذلك لكي تسعدني، لقد كنت دوماً تكره والدي لغيرتك منه، ولهذا الشيء تكرهني. ان السبب الوحيد الذي سيسعدني، هو أنني لن أعود للعيش معك.»

اطلق ضحكة جافة وهو يقول: «إذن، فما زلت تملكين بعض الجرأة، أليس كذلك؟ لقد كنت أظن أنني اخمدتها فيك، من المؤسف انك لن تتزوجي مورتيمر فورستراث ولن يعرف المزاح معك.»

لم تجب كارا، ذلك أنها ما ان رأت المنزل الذي امامها، حتى أدركت أن الحق مع عمها، إذ مهما كان نوع الحياة مع الماركيز، فهي لا شك ستكون افضل بكثير من تلك التي كانت ستمضيها مع مورتيمر فورستراث.

شعرت فجأة بالوهن والإغماء، ليس بسبب الهزيمة امام عمها فقط، بل كذلك بسبب الجروح في ظهرها والتي كانت تؤلمها إلى درجة لا تحتمل.

سارت امام عمها كي لا تسمع تهكمه وسخريته، ولخوفها من الإنهيار، حصرت تفكيرها في محاولة البقاء على سرج جوادها كي تصل بأمان إلى البيت.

أمكنها ذلك بشكل ما، وعندما اتجه الخادم ليمسك برأس جوادها، أنزلت ساقها من فوق الجواد وما أن لمست قدماها الأرض، وأدركت أن عليها أن تصعد

الدرجات نحو الباب، حتى غشيت عيناها، وغابت عن الوعي.

* * *

عادت كارا إلى وعيها فوجدت نفسها جالسة على مقعد خشبي في صالون الماركيز الخاص، وقد وقف شخص ما يمسح جبينها بمنديل مبلل بماء العطر، بينما آخر يقرب منها كوباً يحتوي على شراب ساخن.

حاولت ان تدفعه عنها، فسمعت صوت الماركيز يقول بصوته الجاف: «إشربيه، انه سيجعلك تشعرين بالتحسن.»

بما ان الطاعة كانت اسهل عليها من الجدل، اخذت رشفة منه فشعرت بالحرارة تسري في حلقها.

بدد الشراب شيئاً من الظلام الذي كان ما يزال يحوم حولها، وأدركت من الطريقة التي اخذ بها يقدم الكوب لها، أنه يريدها أن تشرب مرة أخرى.

قامت بما يريده، وتبددت آخر بقايا الظلام، ما جعلها تدرك أين هي وما الذي يحدث.

أزيح المنديل عن جبينها، وعندما رفعت بصرها رأت الماركيز يقف إلى جانبها.

كان من الصعب فهم ما بدا في عينيه من تعبير، ولكنها ادركت من توتر ملامحه أنه كان غاضباً جداً، ولكنها كانت تعلم أن غضبه ليس منها هي بالتحديد.

«أتريدين المزيد من الشراب؟» ومع أن صوته كان جافاً إلا أنها شعرت بأن العطف يتخلله.

اجابت: «كلا... كلا... شكراً.»

ثم أدارت رأسها فرأت عمها يستند إلى كرسي بينما رجل الدين الذي احضره معه، يمسك بيده كتاب.

لكن كارا كانت واثقة من ان عمها لا بد وكان حريصاً على التثبت من اهليته التامة ومن ان الزواج الذي سيعقده سيكون قانونيا نافذاً.

عند ذلك أدركت انها هزمت ولم يعد لها أي أمل بالنجاة رغم أن الزواج، في ظروف كهذه، ليس إلا مهزلة، ولكن لم يكن هناك ما تستطيع عمله إزاء ذلك.

لم يكن الماركيز ينظر إليها، وكان قد ابتعد بضعة خطوات عنها ينتظر مجيئها لتقف إلى جانبه.

دون وعي منها أو سابق تفكير، نظرت إلى نحو الباب، فرأت جايك واقفاً عند الباب، إما ليمنعها من الفرار أو ليمنع الناس من الدخول.

تقدم عمها إلى جانبها مادأ يده ليساعدها على الوقوف، ولأنها لم تحتمل أن يلمسها، نفرت منه ومدت يديها لتتكيء على المقعد الذي أمامها.

شعرت وهي تقف بأن آثار الضرب على ظهرها ما زالت تؤلمها، ولم تستطع منع نفسها عن التأوه بألم إلا بصعوبة.

وإذ لم تشأ أن تكون موضعاً للسخرية ومحافظة على كبرياؤها رغم اي شيء، رفعت يدها، إلى شعرها لتسوّي من خصلاته وتنظمها.

ثم سارت، دون أن تلقي نظرة واحدة على عمها، نحو الماركيز ووقفت بجانبه.

لم ينظر إليها أثناء إداء رجل الدين مراسيم الزواج، الذي كان يقرأ ببطء وبصوت غير مسموع أحياناً.

«أنا، آيفو الكسندر ماكسيميليان، اتخذك يا كارا ماتيلدا زوجة لي.»

سمعت كارا الماركيز يردد هذه الكلمات بهدوء وبصوت مجرد من أي معنى، فشعرت بأنها تحلم حلماً مزعجاً.

ثم، وكأنها في حلم فعلاً، سمعت صوتها يقول: «أنا، كارا ماتيلدا، اتخذك يا آيفو...»

وإذ أخذت تتكلم، أدركت انها لم تخسر حريتها فقط، وإنما احلامها أيضاً.

بالرغم من انها كانت قد أقسمت على عدم الزواج، الا ان شيئاً في اعماقها كان يجعلها تعتقد أنها، يوماً ما، ستعثر على زوج مخلص.

لكن ذلك كان مستحيلاً حين اخذت تكره في البداية عمها ومن ثم ذلك الوحش الرهيب الذي أحضره إليها لتتزوجه.

عند ذلك، جعلها الرعب الذي سرى في كيانها، تعتقد بأن كل الرجال قساة القلوب، يلاحقونها وعليها أن تهرب منهم.

الآن، حين اعتقدت انها هربت لتصبح مستقلة بنفسها، إذا بها يلقى القبض عليها وتقيد إلى الماركيز بقية حياتها.

حين اعلن رجل الدين زواجهما، خيل إلى كارا أن في ذلك اعلان لنهايتها. لكنها كانت تعلم أنها، وبوسيلة لا تستطيع الآن تصورها، بأنها ستهرب من الماركيز.

الفصل الرابع

وقف الماركيز عند الباب الخارجي يتابع بنظراته ماتلوك ورفيقيه وهما يبتعدان تحت أشجار السنديان.

ان الذي منعه من ضرب ماتلوك ومسح ابتسامة الرضى والسخرية عن شفتيه، لم يكن سوى من تلك السنوات الطويلة من التدريب على ضبط اعصابه.

عندما غادروا الصالون، قال ماتلوك بنفس الصوت الساخر الذي سبق وتكلم به من قبل: «لا أظنك يا بروم من السخاء بحيث تقدم إلينا شراب الورد من اجل هذه المناسبة؟»

لكن الماركيز لم يجب. كان قد سار مبتعداً عن كارا حال انتهاء مراسيم الزواج مجتازاً الممر الطويل.

عندما وصلوا إليه، لم يتكلم الماركيز بل وقف ينظر إلى ماتلوك بطريقة جعلت هذا يفهم بأنه يريده أن يغادر منزله.

وأدرك من التعبير الذي ظهر على ملامح وجه ماتلوك، بأن هذا الاخير حائر فيما لو يستفزه أكثر أو ربما من الافضل تركه بصمت. وأخيراً، استقر على الرأي الأخير، فسار خارجاً من الباب ليمتطي صهوة جواده المتعب بطريقة تدل على التحدي.

لحق به المحامي ورجل الدين حيث ابتعد الثلاثة ونظرات الماركيز تتبعهم بكراهية كفيلة بأن تبعث الرهبة في كيان أي شخص عادي.

وما أن اختفى الثلاثة عن الأنظار، حتى نادى الماركيز أحد الخدم الذين كانوا يمسكون بجيادهم، واستداروا الآن للعودة بهم إلى الاصطبل.

«بن.»

«نعم يا سيدي.»

«أسرج الحصان ثاندر واحضره إلي حالاً.»

«أمرك يا سيدي.»

لم يعد الماركيز إلى المنزل إذ كان يشعر بعدم قدرته على مواجهة كارا. وبدلاً من ذلك خرج متجهاً نحو البحيرة حيث القشرة الثلجية التي كانت تغطي سطحها في الصباح الباكر، قد ابتدأت تتهشم بينما أخذ البط والأوز يسبح في وسطها، كما أن اشعة الشمس أخذت تتسرب من بين الغيوم القاتمة.

لكن الماركيز لم يكن اهتمامه محصوراً بهذه المشاهد الرائعة... كل ما كان يراه ويشعر به، هو الاذلال الذي تعرض له على يدي عدوه.

لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي ينهزم فيها. لم يكن لديه أية فرصة بالنصر.

لقد حدث كل شيء بسرعة لم يصدق معها أن ما وقع لم يكن من تخيلاته.

لكن لا مجال للشك في أنه قد أصبح الآن رجلاً متزوجاً، ومن امرأة لم يرها إلا الليلة الماضية أثناء أحداث غريبة لا تبعث على الاعجاب.

«متزوج!»

كان صدى هذه الكلمة يتجاوب حوله، ولم يتمكن ذهنه

من أن يستوعب هذه الكلمة، فيخبره بما عليه أن يتصرف بالنسبة إلى هذا الوضع الذي لم يخطر له ببال، والذي كان يختلف تماماً عن كل ما كان عزم عليه بالنسبة إلى حياته الآن وفي المستقبل.

وقف يحدق في البحيرة إلى أن سمع صوت وقع حوافر حصان خلفه، وإذ التفت رأى أحد أفضل الخيل عنده اصالة، يقترب منه.

كان الحصان نشيطاً منتعشاً، وأدرك الماركيز أنه لن يخفف عنه ما يشعر به من اضطراب نفسي، سوى القيام ببعض الممارسات والتدريبات العنيفة على صهوة هذا الحصان.

ألقى بنفسه فوق السرج وانطلق دون ان يوجه اية كلمة للسائس، وقد قرّر أن يبقى على ظهر ثاندر إلى أن يتملكهما الارهاق الاثنين معاً.

* * *

في المنزل، وبعد أن شاهدت كارا عمها مغادراً، سارت نحو السلم ترتقيه ببطء، شاعرة بأن كل درجة كانت تصعدها، تزيد من الآلام التي تشعر بها في ظهرها.

لشدة شعورها بالألم، لم تستطع أن تفكر بوضوح بزواجها من الماركيز، أو ماذا سيتبع هذا الامر.

كان كل ما تريده هو الانفراد بنفسها، ولم تدرك إلا بعد وصولها إلى غرفة النوم، أنها أكثر أرهاقاً من أن تهتم بشيء آخر بعدما ذاقته من ضرب عمها ومن ثم انهيارها فوق عتبة باب المنزل بعد رجوعها إليه مرغمة أثر محاولتها الهرب.

ناضلت للوصول إلى السرير ببطء لكي لا تؤلم ظهرها، ثم أغمضت عينيها آملة بأن تفقد وعيها...

• • •

بعد ذلك بساعات، استيقظت كارا من الرقاد الذي كان أقرب إلى الاغماء لجأ إليه عقلها الباطن إذ لم ترد مواجهة الحقيقة.

حاولت أن تغير موضعها في السرير ولكنها وجدت أن الجروح في ظهرها قد التصقت بالوسادة، فصدرت عنها صرخة ألم جعلت شخصاً ما يسرع ليقف بجانب سريرها.

كانت مدبرة المنزل، ولم تستطع كارا أن تتذكرها.

«هل أنت مستيقظة، يا سيدتي؟»

«أظن... ذلك.»

«هل تستطيعين يا سيدتي الانتقال إلى غرفة أخرى؟ كل شيء جاهز لأجلك، وسأضع شيئاً من المرهم على ظهرك ومن ثم يمكنك أن تنامي جيداً وترتاحي.»

لأن الطاعة كانت أسهل عليها من الجدال، تركت المرأة تقودها من الغرفة التي كانت ترقد فيها إلى غرفة في الجناح الغربي من المنزل.

كانت من شدة التعب بحيث لم تكن تهتم بشيء. ولم تدرك إلا مؤخراً بأنها نقلت الى غرفة النوم الخاصة بسيدات القصر فقط، والتي كانت في النهاية غرفة والدة الماركيز الراحلة.

لكنها لم تكن تشعر، حين دخولها إليها لأول مرة، بغير الألم لا يطاق ولكن حين وضعت مدبرة المنزل المرهم على الجروح وغطته بقماش ناعم، شعرت ببعض الراحة.

أحضروا إليها شراباً دافئاً خيل إليها أنه مكون من اللبن والعسل، لكن التعب منعها من السؤال.

كانت قد وجدت نفسها في سرير واسع ذي أعمدة ضخمه منحوتة ومذهبة تسند سقفاً مكوناً من الازهار وأوراق الشجر.

لكن كل ذلك لم يجذب اهتمام كارا التي لم تكن تريد سوى أن تضع رأسها على الوسادة وتغمض عينيها.

كانت الستائر تغطي ثلاث نوافذ مستطيلة، وعندما أصبحت بمفردها حاولت أن تبعد عن ذهنها كل الأفكار المقلقة لتتمكن من الاستغراق في النوم.

• • •

لم يعد الماركيز إلى منزله إلا أواخر العصر. وما أن دخل من الباب الامامي، حتى خيل لرئيس الخدم وهو يتناول منه قبعته العالية، وقفازيه، وسوط الركوب، أنه شديد الارهاق وأكبر سناً مما كان يبدو عليه عند الصباح.

ومن الطبيعي أن يكون الخدم متلهفين إلى معرفة حقيقة ما حدث بعد أن رأوا ذهاب سيدهم بصحبة رجل دين وشابة غريبة كانت قد جاءت معه الليلة الماضية.

ورغم فطنة وحذر مدبرة المنزل، إلا أن الخادمات لم يستطعن مقاومة الرغبة في التجمع تحت السلم لكي يثرثرن لبعضهن البعض، بأن السيدة التي كانت جاءت الليلة الماضية مع سيدهن الماركيز كانت قصيرة الشعر وترتدي بذلة ايتون الجامعية تحت كاب سيدهن المبطن بالفرو.

كانت تخميناتهم عمن عسى أن تكون، وسبب حضورها

إلى بروم في هذا الشكل الغريب، هو الموضوع الوحيد الذي يشغل بال المستخدمين جميعاً من أصغر وإلى أكبر الخدم سناً.

قال رئيس الخدم للماركيز: «هنالك سيد جاء من لندن لرؤيتك يا سيدي، وقد أخذته إلى غرفة المكتب.»

فسأله الماركيز مستفهماً: «من لندن؟»

وظن لحظة أنه قد يكون هنري هانسكيث، ولكنه عاد فأدرك أن الوقت ما زال مبكراً لحضوره.

أول ما خطر له، القول بأنه لا يريد رؤية أحد، ولكن لباقته لم تسمح له بأن يرد أي زائر تكبد تلك الرحلة الطويلة من لندن لكي يراه.

لذا، ورغم الارهاق الذي كان يعاني منه وحاجته إلى الاغتسال وتناول شيء من الطعام، سار نحو المكتب آملاً بألا يمكث هذا الزائر غير المتوقع، طويلاً.

فتح الخادم الباب، وما أن دخل الماركيز حتى تملكته الدهشة وهو يرى أن السيد الذي لم يبلغ رئيس الخدم باسمه، هو أحد موظفي القصر الملكي.

قال الماركيز: «مساء الخير يا بينغهام. آسف لجعلك تنتظرني إذ لم أكن أتوقع زيارتك لي.»

أجاب بينغهام: «رأيت من الافضل أن أحضر إليك الخبر بنفسي وهو أن الملك توفي في الساعة الثامنة والدقيقة الثانية والثلاثين من ليلة أمس.»

هتف الماركيز: «هل توفي الملك؟»

كان الامر مفاجيء رغم أنه كان منتظراً منذ زمن طويل، لقد كان الماركيز والكثير من موظفي القصر يعتقدون كما

كان يعتقد الماركيز وحتى الأمير، بأن الملك لن يموت الآن.

أجاب بينغهام: «لقد كان. وبما أن اليوم هو ذكرى إعدام الملك تشارلس الاول، فإن إعلان اعتلاء الملك الجديد لن يكون قبل يوم الاثنين.»

فقال الماركيز وكأنه يحدث نفسه: «وطبعاً، هو يتوقع مني الحضور.»

«هذا هو سبب حضوري بأقصى سرعة، يا سيدي. لقد سأل عنك الأمير فعلاً.»

«شكراً، يا سيد بينغهام. إنك ستمكث الليلة هنا طبعاً. وسنباشر رحلتنا إلى لندن في الصباح الباكر.»

«كلما ابكرنا في الذهاب يكون ذلك أفضل يا سيدي، فقد تلقى الأمير الخبر بحزن كبير، كما أنه لا يرغب بوجود احد سواك يا سيدي.»

تلقى الماركيز هذا الاطراء بشيء من الاشمئزاز إذ كان يعلم أن الملك الجديد عاطفي وسريع التأثر.

لقد كان طوال حياته يحوّل كل موقف إلى مأساة مسرحية، وذلك منذ ان كان في الثانية والعشرين من عمره حين طعن نفسه بسكين لأنه كان يريد من السيدة فيتز هربرت أن تتزوجه.

ومنذ ذلك الحين، أخذ يلجأ في كل مناسبة إلى الثورات الهستيرية أو إلى ذرف الدموع كلما أراد التعبير عن مشاعره.

فكر الماركيز في أن آخر، ما كان يريده في هذا الوقت بالذات، هو رؤية الملك بينما يعرض أحزانه لموت والده، وهذا ما جعله يفكر في كارا.

إذا كان عليه أن يغادر إلى لندن، فما الذي عليه أن يفعل بشأنها؟

والأكثر من ذلك، كيف سيتمكن من اعلان زواجه لأصدقائه؟

كان أشد ما يكرهه الماركيز هو أن تقترن باسمه فضيحة ما، لذلك، فهو حالياً لا يستطيع أن يتصور كيف سيبلغ المجتمع حقيقة زواجه بفتاة لم يرها أو يسمع بها أحد من قبل.

كان يعلم أن هذا سيسبب ذعراً، شبيهاً بخبر وفاة الملك.

كان يبدو هادئاً كلياً رغم الافكار التي كانت تتلاحق في ذهنه.

بعد ذلك بقليل، أعطى الماركيز تعليماته لرئيس الخدم بأن يأخذ الضيف إلى غرفته، ثم صعد إلى الجناح الغربي مسرعاً نحو غرفته هو حيث لا بد أن خادمه الخاص قد أعد له الماء الساخن.

كان يريد، أثناء الاغتسال، أن يستعرض هذه المشكلة الجديدة التي جعلت من المستحيل عليه الآن البقاء في الريف كما كانت نيته.

عندما اصبح قريباً من غرفته، ظهرت مدبرة المنزل من باب أمامه.

لدى رؤيتها، أدرك في الحال أن كارا قد نقلت إلى الغرفة التي بجانب غرفته.

كان هذا يعني أن جميع المستخدمين في المنزل قد علموا بزواجه، فهي تعامل بصفتها زوجته، وستنام في المستقبل، كما هي تقاليد أسرة بروم، في غرفة الماركيزة.

شعر، لأول وهلة، بفيض من الغضب يجتاحه، إذ كان عليهم أن ينتظروا أوامره بهذا الشأن قبل الانتقال بكارا إلى الغرفة التي لم يستعملها أحد منذ وفاة أمه.

لو كان بإمكانه القيام بما يشعر به، لكان قد طرد كارا من تلك الغرفة لتنام في غرفة ما فوق السطح، أو في أي مكان بعيد عن غرفته.

ولكن ما أن انحنت له مدبرة منزله باحترام، حتى عاد إلى اتزانه وإلى هدوء اعصابه ليستمع إليها بجمود وهي تقول: «إن السيدة أحسن قليلاً، يا سيدي. ومع أنني فكرت في البداية في أن أطلب منك استحضار الطبيب ليفحص ظهرها، إلا أنني لم أعد أظن ان ذلك ضرورياً الآن.»

تسمر الماركيز في مكانه. كان يعلم أنه لو رأى الطبيب المحلي أثار الضرب الدامية على ظهر ماركيزة بروم الجديدة، لما كتم هذا الامر ولنقلت الالسن الثرثارة هذه القصة من أول المنطقة إلى آخرها.

فقال بلهجة آمرة: «لا أريد أن يعلم أحد بما أصاب السيدة، كما أريدك أن تتأكدي من ألا يتحدث احد عن ذلك سواء في داخل المنزل أم في خارجه.»

أجابت المرأة: «سأبذل جهدي، يا سيدي.»

ثم تركها وتابع طريقه إلى غرفته حيث دخل واقفل الباب خلفه بعنف.

تنهدت المرأة وهي تتابع سيرها في الممر.

لا بد أن الماركيز ستتملكه الدهشة إذا هو علم بمبلغ ألمها لزواجه بهذه الطريقة الغريبة التي لم يتوقعها أحد، خاصة من شابة لا يكفي أنها عوملت بهذه الطريقة المفزعة

فقط، وإنما ليست في الوقت نفسه مثال السيدة المحترمة التي كانت تتوقع الترحيب بها كزوجة للماركيز.

أخذت مدبرة المنزل تتمتم مخاطبة نفسها «شعر قصير وسروال! إلى أين سيصل العالم يا ترى؟»

* * *

تناول الماركيز وضيفه السيد بينغهام العشاء معاً وهما يتناقشان بتحفظ بما عساه أن يحدث الآن بعد أن ورث الأمير القصر الملكي بعد ذلك الانتظار الطويل.

قال الماركيز: «إن كل ما أرجوه، يا سيد بينغهام، هو أن يستمع الملك الجديد إلى طلبي المستمر والذي رفض رئيس الوزراء، يتبعه في ذلك وزراؤه، الاستماع إليه، وهو المباشرة ببعض الاصلاحات قبل فوات الأوان.»

حرّك السيد بينغهام رأسه بأسف، ثم قال: «إن الحالة تسوء في شمال البلاد، يا سيدي، ولكن يبدو، لسوء الحظ، أن كل من هو في السلطة يظن أن تجاهل ما يحدث كفيل بأن يبعد أي شر متوقع من ذلك.»

توتر الماركيز الذي كان يعلم أن الاساليب التي تسلكها الحكومة لكبح جماح الثوار قد جعلت الامور أسوأ مما هي عليه.

كما كان يعلم أن مثل تلك الرسائل التي كان يرسلها دوق كامبريدج والتي يقول فيها بكل حزم وجدية ان بإمكانه قمع الثورة المتفشية الآن في انكلترا، مثل تلك الرسائل لم تكن سوى كلام فارغ.

كان في الواقع قد تكلم مع الأمير، بحزم كبير، قائلاً له، بأن لا بد من القيام بشيء، كما أن الأمير قد أدرك ضرورة

ذلك بنفسه عندما قوبل بصيحات الاستهجان من حشد خارج باب قصره كان قد تجمع.

قال الماركيز: «المطلوب هو الطعام الأرخص ثمناً، والاجور الأعلى نسبة، وشخص ما يجعل العمال يشعرون بأن مشاكلهم قيد الدرس.»

فقال السيد بينغهام: «إنني واثق من أن الملك سيدرك ما هو مطلوب إذا أوضحته إليه.»

كان الماركيز يعلم أن الملك الجديد والذي تحيط به مشاكله الخاصة، وخصوصاً تصرفات زوجته الاميرة كارولين، سيصعب عليه الاستماع إلى ما يقوله له.

كلما فكر في ذلك الزواج التعيس للملك، اتجه به الفكر إلى كارا الموجودة هذه اللحظة في الطابق الاعلى.

ذلك أن الاميرة منذ وصولها إلى اوروبا، ابتدأت الفضائح تصدر عنها واحدة تلو الاخرى.

فقد ألبست رجالها زياً غريباً يتألف من معطف مطرّز وقبعة مزينة بالريش.

أما في بادن أخذت تصفق مرحاً داخل مقصورتها وهي تصيح ضاحكة وذلك أثناء عرض أوبرا مشهورة وكانت أثناء ذلك ترتدي قبعة فلاح غريبة الشكل تزينها شموع وشرائط ملوّنة.

وفي جنيف طافت الشوارع في عربة مفتوحة تلتمع بألوان قوس قزح، وقد ارتدت ثياباً ذات لونين وردي وأبيض كفتاة صغيرة، وانتعلت حذاء وردي اللون.

أخذت هذه القصص تتوالى إلى ذهن الماركيز واحدة تلو الأخرى.

www.rewity.com/vb ريتو وايت

شعر بالرعب وهو يرى نفسه يتألم هو أيضاً من تصرفات زوجته، بينما يقول الناس كما سبق وقالت اللايدي بيسبوروف مرة: «عندما رأيتَ الاميرة كارولين في المطعم، لا أستطيع أن أصف مقدار ما شعرت به من الخزي لكوني انكليزية.»

كان الماركيز يشعر دائماً بفخر بالغ لتراثه، ولو لم يقل ذلك. فقد كان أسلافه جزءاً من التاريخ الانكليزي وكان لأسرته دوراً ليس فقط في قصر الملك وإنما في كل مجال، سواء في البر أو في البحر. وهو نفسه كان يتوخى الحذر الشديد من أن يذلّ اسم أسرته أو يحقر من الشعار المحفور على الباب الخارجي لقصر بروم، والذي يزين عرباته في لندن.

ولكنه ما لبث أن حدث نفسه وكأنه يخفف من حدة غضبه، بأن كارا، رغم ظهورها بملابس غير محتشمة وقد قصت شعرها لكي تتمكن من الهرب، لم تكن سوى طفلة بالمقارنة مع الاميرة كارولين البالغة الطيش.

من السخافة الظن أن ليس بإمكانه حمل فتاة في الثامنة عشرة على أن تتصرف بطريقة محترمة وتطيعه في ما يطلبه منها.

قال يعزي نفسه، على كل حال فقد كنت قائداً لعدد كبير من الجنود.

لكنه كان يشعر، وبانزعاج، أن المرأة من الممكن، مهما كان سنها، قد تكون أصعب مراساً من فرقة كاملة من الجنود المتدربين على إطاعة الاوامر.

استمر في الحديث مع السيد بينغهام، وبعد أن ذهب

الضيف أخيراً إلى غرفته، قائلاً انه يرغب في فترة طويلة من النوم، حيث ثمة الكثير من الواجبات تنتظره في لندن. فكر الماركيز أن عليه اطلاع كارا على اضطراره المفاجيء هذا للسفر إلى لندن.

كان يعلم أن حالتها الصحية لن تسمح لها بالسفر غداً، ولكنه لم يكن يريد أن يتركها بمفردها في بروم مدة طويلة.

رغم أن وضعهما في لندن سيسبب له الاحراج إلا أنه كان يشعر بالقلق، وبأنه من الافضل أن تكون بجانبه ليكون مطلعاً على ما عساها فعله أو ما قد تخطط للقيام به.

قال يحدث نفسه: «إنها زوجتي الآن، وكلما أسرعت في جلعها تفهم أنني لا أريد لا مشاغبات ولا كلام فارغ، كان ذلك أفضل.»

سار نحو غرفته وإذ كانت الساعة ما تزال العاشرة، فكر أنه ليس ثمة من إزعاج لكارا إذا هو ذهب لرؤيتها.

قد يشكل التأخير في إعلان اعتلاء الملك الجديد قبل يوم الاثنين، عذراً مناسباً لارجاء اعلان زواجه إلى ما بعد التتويج، وقد يمكنه بعد ذلك التأخر عدة أيام أخرى.

حدث نفسه بانه سينتظر الى ان يصبح في لندن، فيرى بالضبط ما الذي سيحدث.

وصل إلى باب غرفة كارا، ثم تردد. قرر أنه من الافضل أن يدخل إليها من خلال الباب الذي يفصل بين غرفتيهما وليس بينهما سوى غرفة الجلوس الخاصة والتي اعتادت امه ان تمضي فيها معظم أوقاتها وتحتوي على كل ما كان يخص الماركيزة الراحلة مثل صور ابنها وبناتها عندما كانوا صغاراً، ولوحة لصورة زوجها على الجدار، وبعض

الرسومات الجميلة لفنانين فرنسيين كانت تعجب الماركيز، وهذا ما يدل أن ذوق أمه يماثل ذوقه.

عندما دخل غرفة الجلوس من غرفته بعد أن أعطى خادمه الخاص التعليمات بأن يجهز كل شيء للسفر باكراً، شعر بالانزعاج لاستعمال هذه الغرفة، خاصة زوجة لم يكن يريدها.

لكنه حدث نفسه أن المهم الآن هو أن يؤسس علاقته بكارا بطريقة تجعلها لا تشك في من هو السيد في هذا البيت وأن عليها أن تتصرف كما هو متوقع منها بصفتها زوجته.

وكما هي العادة تبعاً لأوامر الماركيز، كان كل شيء في المنزل جاهزاً للاستعمال في أي وقت تدعو الحاجة، وهكذا كانت غرفة الجلوس الخاصة تملؤها الزهور والشموع المضاءة رغم أنه لم يدخلها منذ عودته من الحرب.

كان هذا يجري كل ليلة أثناء وجوده في المنزل. ورغم أنه لم يفتح الباب الذي بين غرفته وغرفة الجلوس هذه قط من قبل، إلا أنه كان واثقاً من أن كل شيء سيكون جاهزاً لربما اضطر إلى استعمالها.

شعر الآن على كل حال، بظلمة كاحلة في عينيه من شدة الغضب، لأن الغرفة قد أعدت لأجل كارا.

تعمد ألا ينظر إلى صورة والده المعلقة على الحائط أو إلى صورة أمه على الحائط المقابل والتي كانت من رسم رينولدز الشهير.

في اللحظة التي مد فيها يده ليدير مقبض غرفة كارا أحس بتغير كامل في مشاعره، وبحقد وسخط شديدين ضد هذه المرأة التي سلبته حريته الغالية.

لكنه ما لبث أن حدث نفسه بأن الذنب لم يكن ذنبها، كما ليس من الانصاف أن يلومها كلياً لما حدث.

أدار مقبض الباب فوجده مقفلاً، اداره مرة أخرى ليتأكد من أنه لم يكن مخطئاً.

وإذ لم يستطع أن يصدق أن كارا قد تعمدت إقفال الباب في وجهه لأنها توقعت أنه قد يأتي لرؤيتها، فكر أن الامر لا يعدو سهواً من إحدى الخادمات التي تركت الباب مقفلاً رغم أن الغرفة قد شغلت.

وأخذ يقلب الأمر في ذهنه ما إذا كان من الافضل أن يخرج إلى الممر ليجرب الباب الآخر، ولكنه بدلاً من ذلك، قرر أن يقرع الباب.

رفع يده ونقره نقراً خفيفاً لأنه لم يكن يريد أن يعلم خادمه الخاص بما يحدث، والذي كان الآن موجود في غرفته.

لم يسمع شيئاً، فقرع الباب مرة أخرى وهو ينطق باسمها: «كارا.»

ظن للحظة بأنها لم تسمع، ولكنها ما لبثت أن أجابت قائلة: «ماذا... هناك؟»

«افتحي الباب. أريد أن أتحدث إليك.»

مرت لحظة صمت قالت بعدها بوضوح: «كلا.»

فأصر قائلاً: «من الضروري أن أتحدث إليك.»

لم يسمع الجواب، فظن أنها ربما تتقدم الآن لكي تفتح الباب. وعندما تكلمت مرة أخرى تأكد من أن هذا ما حدث بالضبط لأن صوتها كان اقرب الآن وهي تسأله: «لماذا تريد أن تراني؟»

«لقد تغيرت الخطط التي كنت قد صممت على تنفيذها، ويجب أن أخبرك بها.»

«يمكنك أن تخبرني بأي شيء من خلف الباب.»

شعر الماركيز بغضبه يتصاعد. فقال بحدة: «توقفي عن التصرف بهذا الشكل السخيف. إني لا أستطيع التحدث إليك جيداً من خلف الباب.»

«لما لا؟»

«لأن هذه حماقة لا لزوم لها.»

«إنني اشعر بالنعاس... وأريد أن أنام.»

فقال متذرعاً بالصبر: «إنني افهم ذلك جيداً، ولكنني ما زلت أريد التحدث إليك. إنني زوجك.»

«أعلم ذلك. ولكنني لا أرغب في الحديث إليك في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل.»

فقال: «قد يكون الوقت متأخراً كما تقولين، وبأنك تريدين النوم الآن ولكنني سأسافر إلى لندن في الصباح الباكر.»

ظن أنها تفكر في قوله هذا، فقال آمراً: «إفتحي الباب يا كارا، وسأخبرك بالذي حدث.»

«كلا.»

كانت كلمة قصيرة وحاسمة.

كبح الماركيز دافعاً، لم يكن من عادته على الاطلاق، وهو ان يدفع الباب بكتفه فيكسر القفل.

قال: «أريدك أن تفعلي ما أريده منك، فمن المهم أن تعلمي السبب من ذهابي إلى لندن.»

فقالت: «يمكنك أن تترك لي رسالة بذلك. إلا إذا كنت تريدني أن أرافقك. ولكنني لا أظن أن صحتي ستساعدني.»

أجاب: «كلا لم أفكر بذلك، ولكن من الضروري أن تلحقي بي بعد يوم أو نحوه.»

أجابت: «حسناً، عندما تتحسن صحتي، سأحاول أن أنفذ تعليماتك.»

أثناء كلامها، سمع صوتها يبتعد شيئاً فشيئاً، فأدرك أنها عادت إلى الفراش.

لم يستطع أن يصدق أنها تعمدت عدم الطاعة، وتجاهلت ما طلبه منها.

لكنه ما لبث ان سمع بعد لحظة صوتها وهي تقول: «تصبح على خير، يا سيدي.» فعلم أن حديثهما قد وصل إلى نهايته.

* * *

لم تحضر مدبرة المنزل طعام الافطار إلى كارا، إلا بعد رحيل الماركيز إلى لندن بعدة ساعات.

في الصينية كان ثمة رسالة كتبت بخط ثابت ومستقيم، سرعان ما أدركت كارا أنها من الماركيز.

كان الخط يظهر صفاته، فهو متسلط، حازم وقاهر إلى حد ما.

تعمدت أن تنتهي اولاً من تناول الطعام قبل قراءة الرسالة، وقد شعرت أن ذلك سيزعجه إذا علم به.

كانت تشعر بتحسن كبير عما كانت عليه في الليلة السابقة، فقد استمتعت بالبيض وبالزبدة الريفية الطازجة من أبقار الماركيز، والتي أكلتها مع المربى المنزلية الصنع.

لم تبدأ بقراءة الرسالة إلا بعد أن أكلت كل ما كان على الصينية تقريباً.

كتب فيها دون أية مقدمات.

توفي الملك جورج الثالث مساء السبت. وسيعلن اليوم الملك الجديد، وهذا امر يستدعي وجودي. ولهذا أنا مضطر للعودة إلى لندن وساكون في منزلي في شارع بارك لين.

إذا كانت صحتك تسمح لك بأن تلحقي بي، فحاولي ذلك غداً أو اليوم الذي يليه. فعدا عن أن عليك أن تكوني إلى جانبي حين أعلن زواجنا، فانك ستحتاجين إلى ملابس لا يمكن أن تتوفر سوى في لندن.

إذا أنت أخبرت السيد كورتيز وهو المسؤول عن المستخدمين في المنزل، باليوم الذي ستسافرين فيه، فسيقوم بكل التدابير التي تؤمن لك الراحة، كما سيؤمن لك خادمة لتسافر معك.

ولم يوقع الماركيز بإمضائه المعتاد، وإنما وقع بالحرفين الاولين من اسمه فقط.

قرأت كارا ما كتبه، ثم عادت تقرأ مرة أخرى. لقد اهتمت بخبر موت الملك. وفكرت كم أن الملك الجديد ستتملكه البهجة للوصول إلى الحكم بعد طول انتظار، وامتلاكه للسلطات التي تسمح له بالقيام بما يشاء.

فكرت كارا في أنها، لو كانت ملكاً، لألغت نظام الزواج. وكان واضحاً أنها كانت تفكر في نفسها.

عند ذلك تذكرت، كما كان قد تذكر الماركيز من قبل بأن الملك كان متزوجاً من امرأة قد أذلته وحقرت من شأنه بسلوكها وجعلت من نفسها أضحوكة ليس في انكلترا فقط بل في أوروبا ايضاً.

كان بعض أصدقاء عمها، قد قابلوا الاميرة كارولين

عندما كانوا في الخارج، وقد تحدثوا كثيراً عن تصرفاتها في كل مكان، مثيرين بذلك عواصف من الضحك، ما رأت كارا معه أن ذلك ليس فيه إهانة لزوجها للأمير فقط، بل لكل الشعب الانكليزي.

كان أحد أصدقاء عمها قد قال له مرة: «يا ليتك رأيتها، يا ليونيل، بعد أن تركها مستخدميها الانكليز وقد شغلت أماكنهم بمجموعة من المستخدمين ذوي الهويات المختلفة من وصيفة وطباخ فرنسيّين إلى حوذية نمساويين وخدم إيطاليين.»

فهتف ليونيل: «هل هذا صحيح؟»

أجاب الصديق: «إنهم لا يحتملون، ووقاحتهم فوق الوصف.»

قال ليونيل وهو يكتم ضحكه: «أرجو أن يكون الأمير قد علم بهذا.»

«كن متأكداً من أن هناك من ينقل إليه هذه الاخبار، لقد سمعت أنه أخذ يشتم حين علم أن زوجته دخلت احدى الأرياف وهي تمتطي حماراً.»

الطريقة الساخرة التي تكلما بها، لم تجعل كارا تشعر بالحرج فقط، وإنما شعرت بالاذلال نفسه الذي لا بد وأن الأمير قد شعر به.

كانت تعلم أن عمها يكره الأمير ويسره جداً أن يسمع بكل ما كان يثنيه ويحط من قدره.

خطر ببالها أن الماركيز لا بد ويتوقع منها مثل هذا السلوك بصفتها إبنة شقيق ليونيل ماتلوك.

فكرت، صحيح أنها تكرهه لأنه زوجها، ولكن والديها

يتوقعان منها أن يكون سلوكها لائق بسيدة محترمة مهما كان نوع سلوك عمها.

حيث أن ظهرها كان ما يزال يؤلمها، فقد فكرت أنه قد يكون من الحماقة السفر إلى لندن حيث الماركيز بانتظارها اذا لم تشعر بكامل قواها تعود إليها.

كانت تعلم انها إذا كانت تشعر بالرعب والغضب بعد ان وجدت نفسها زوجة له، فلا بد من أن يكون شعوره، وهو يرى نفسه زوجاً لها، مماثلاً تماماً لشعورها.

كانت فيما مضى عندما تسمع عمها يسخر من الماركيز ويحقّر من شأنه بصفته صاحب جياد سباق ناجحة تعلم أن الماركيز يختلف عن عمها في كل صفة من صفاته.

وهكذا انصرف اهتمامها إلى التفكير في طريقة تستطيع معها فسخ هذا الزواج، قبل أي شيء آخر. وإذا لم تتمكن من ذلك، عليها أن تجرب طرقاً أخرى مهما كانت صعبة، لكي تتمكن من الهرب إلى حيث تصبح مستقلة بنفسها لا يحكمها احد.

لن يكون الامر سهلاً، كانت تعلم ذلك جيداً، وشعرت بالغضب اكثر عندما أدركت، مع تقدم النهار، أن الماركيز قد وضعها تحت الحراسة كي لا تحاول الهرب منه كما سبق وفعلت مع عمها.

أدركت أنه وبسبب فطنته، عرف أنها لا تهتم بالمركز الاجتماعي الذي حصلت عليه بصفتها زوجته، وبأنها ما زالت مصرة إما على السفر إلى فرنسا لتسكن مع صديقتها، وإما على الاختفاء كلياً.

لم تسأل نفسها كيف علمت أن الماركيز يظن ذلك، ولكنها

أدركت أن هذه هي الحقيقة، وأنه جعل من الصعب عليها الفرار من بروم، وذلك دون أن يقول لها شيئاً.

لقد قالت لها مدبرة المنزل بكل لباقة: «ظننت أنك ربما قد تحتاجين إلى شيء أثناء الليل، يا سيدتي، ولهذا فقد طلبت من روبنسن أن تنام في غرفة ملابسك القريبة من غرفتك. ليس عليك إلا أن مناداتها فتجديها قد وصلت إليك خلال لحظة.»

قالت كارا: «شكراً.» لكنها أدركت في الحال السبب من وجود الخادمة المتوسطة العمر، هناك.

في اليوم الثالث عزمت على اللحاق بالماركيز إلى لندن. وعندما نزلت إلى الطابق الاسفل لم تدهش وهي ترى أنه لن ترافقها السيدة روبنسن فقط، وإنما السيد كورتيز أيضاً.

سافر معها في نفس العربة حيث جلس إلى جانبها، بينما جلست روبنسن أمامهما وقد بدت كالخادمة الخاصة تماماً بالقبعة السوداء والكاب الاسود السميك الذي التفت به.

كانت مدبرة المنزل قد اجهدت نفسها في العثور على ثوب سفر أنيق يمكن لكارا أن ترتديه أثناء رحلتها هذه إلى لندن.

كان الثوب ملائماً لها تماماً كما كان يعلوه معطف يناسبه مزيّن بالفراء، هذا إلى فرو خاص يلف به اليدين.

سألتها كارا: «من يا ترى تركت هذه الاشياء الجميلة خلفها؟»

أجابت مدبرة المنزل: «إنها لشقيقة سيادة الماركيز الصغرى، يا سيدتي، والتي تعيش الآن في الخارج في جو حار لا تحتاج معه إلى فراء. أنا واثقة من أنها لا تمانع في

أن تستمعلينها يا سيدتي. وسأعيدها فيما بعد إلى مكانها إلى حين عودتها.»

لم تأتيا على ذكر ما حدث لبذلة كلية إيتون التي كانت كارا ترتديها لدى وصولها إلى بروم، فقد خجلت من أن تسأل مدبرة المنزل عما فعلته بها.

لم تكن القبعة التي أعطتها إياها مدبرة المنزل حديثة الطراز كتلك التي رأتها كارا في لندن، ولكنها كانت جميلة لا بأس بها.

فقد كانت الخياطة المستخدمة في المنزل، قد أضافت إليها بعض ريش النعام لكي تجعلها ملائمة لماركيزة بروم الجديدة.

لأن كارا لم تستطع كبح فضولها، فقد سألت مدبرة المنزل قبل رحيلها: «كيف علمت، أم لعله أخبرك، بأنني تزوجت من الماركيز؟»

«عليك أن تعلمي، يا سيدتي، بأن لا شيء يخفى عليّ، أو على السيد نيومان، في هذا البيت.»

قالت كارا باسمة: «أظن هذا الأمر يحدث دائماً في البيوت الكبيرة.»

تأكدت كارا من الطريقة التي ذكرت فيها مدبرة المنزل اسم رئيس الخدم السيد نيومان، من أن كل كلمة تلفظ بها عمها في غرفة الافطار قد سمعت خارج الباب. وبقاء رجل الدين معهم قد أثبت للخدم ما كانوا قد سمعوه.

لم تعلم إلا بعد وصولها إلى لندن، بأن الماركيز، والذي كان مسرعاً لزيارة الملك، قد ثار غضبه عندما فتح صحف الصباح فوجد أن ماتلوك، وهو المصمم على أن تكون

الكلمة الاخيرة له، كان قد أرسل خبر زواجهما إلى صحيفة الغازيت.

على كل حال، لم يكن لديه الوقت ليعبر فيه عن غضبه قبل الاسراع إلى قصر كارلتون ليقف في الهواء البارد إلى جانب الملك، والنبلاء الملكيين والامير ليوبولد، ليستمع إلى التلاوة التقليدية لتتويج ملك جديد.

لكن في اليوم التالي، أصيب الملك الجديد بالتهاب في الرئتين، ثم صدر في النشرة الرسمية، بأن الملك منحرف الصحة وعلى نحو خطير.

زار الماركيز قصر كارلتون فوجد أن الملك لم يستطع الرقاد، وقد تسارعت نبضات قلبه، هذا إلى ألم في الرئتين وصعوبة بالغة في التنفس.

ويوم الاربعاء كان تعباً جداً، فكان كل شخص حوله يتحدث همساً.

قالت الاميرة ليفن للماركيز: «إذا هو مات فإن مآسي روائع شكسبير قد تصبح شيئاً لا يذكر أمام هذه الكارثة. لقد سبق في الماضي أن دفن الوالد وابنه معاً، ولكن أن يدفن ملكان؟ أرجو له الشفاء.»

فقال الماركيز من أعماق قلبه: «وهذا ما أرجوه انا ايضاً، واتساءل عما إذا كانت الملكة، في حال موته، ستحاول الحصول على مركز الوصاية.»

كانت هذه الفكرة مفزعة إلى درجة شعر بالكره اكثر من كارا، وذلك حين عاد إلى بيته وعلم بوصولها.

ولأنه كان يراها في ذهنه بصورة الملكة كارولين، فقد كان يتوقع أن يجدها بصورتها تماماً، وبطباعها الشرسة.

لكن عندما دخل غرفة الاستقبال حيث قيل له انها بانتظاره، وجد صعوبة في بداية الأمر بالتعرف إليها.

عندما اقترب منها، وقفت، فرأى كم هي صغيرة الحجم.

إنحنت باحترام فأحنى رأسه بتحية تقليدية، ثم نظر إليها. عند ذلك، أدرك وقد تملكه الذهول، أنها تبدو خائفة منه.

الفصل الخامس

ولأول مرة، منذ زواجه لم يفكر في ما تعرضت له مشاعره من إساءة، بل فيما تشعر به كارا، وأدرك أن العقاب الذي تلقته من عمها كاف ليدخل الرعب في قلب أي امرأة شابة، ما يجعلها ايضاً تخاف من جميع الرجال.

سألها: «هل أنت أحسن حالاً؟»

أجابت: «نعم، أشكرك. لقد انتظرت إلى أن تمكنت صحياً من السفر.»

قال: «هذا عمل سديد. وحيث أنك هنا الآن، فإن لدينا الكثير لنتحدث به، ألا نجلس؟»

لاحظ أن كارا جلست بحذر وكأن ظهرها ما يزال يؤلمها، الأمر الذي جعلها تجلس مستقيمة على طرف الكرسي.

عندما جلس أمامها رأى أن نظراتها ما زالت حذرة وأن ثمة شيئاً من الخوف في أعماق عينيها.

اراد الماركيز أن يبدأ بإخبارها عن الملك وما أثاره مرضه من قلق في القصر وفي البلاد كلها.

لكنه، بدلاً من ذلك، سألها بفضول: «هل اعتاد عمك على ضربك دائماً؟»

شردت نظرات كارا بعيداً، وبدت خجلة تشعر بالاحراج.

ثم أجابت: «كلما ضايقته بشيء ما.»

رفع صوته بشكل فجائي قائلاً: «إن معاملته لك بهذا الشكل شيء لا يحتمل.»

قالت ببساطة: «إنه يكرهني لأنه كان يكره والدي.»

«ولماذا كان يكره والدك؟»

ساد صمت قصير أجابت بعده: «كان والدي هو الابن الاكبر، وأظن أن عمي ليونيل كان بالغ الغيرة منه لكونه هو الوريث الوحيد وذلك عندما كبر وفهم الوضع.»

لم يتكلم الماركيز بينما تابعت بعد لحظة: «كان والدي يختلف عن عمي في كل شيء. كان رجلاً شجاعاً كريم الاخلاق ومحبوباً من الجميع بقدر ما كانوا يشمئزون من... عمي ليونيل.»

كان في صوتها عنف مفاجيء جعل الماركيز يدرك بوضوح شعورها نحو عمها.

فقال: «ربما يسهل الامر علينا نحن الاثنين، إذا حدثتني عن أسرتك وكيف أصبح عمك وصياً عليك. وأظن أن أمك أيضاً متوفاة وليس والدك فقط.»

فأومأت برأسها قائلة: «لقد ماتت أمي السنة الماضية.»

«ووالدك؟»

«مات منذ خمس سنوات، وقبل ان يرث اللقب عن جدي بيومين.»

بدا في صوتها، وهي تقول هذا، نبرة غريبة جعلت الماركيز ينظر إليها مستطلعاً. وعندما لم تتابع كلامها، قال: «أشعر بأن ثمة شيئاً غامضاً رافق وفاة والدك.»

القت عليه نظرة سريعة، وكأنها دهشت لتكهنه هذا، لكن عندما لم تجب، قال: «أظن يا كارا أن أهم شيء علينا اتباعه إذا أردنا لزواجنا الغريب هذا، النجاح، هو أن نعتمد الصراحة بيننا، وهذا ما سأقوم به أنا تجاهك.»

أجابت كارا: «حسن جداً. إذا شئت الحقيقة فأنا أعتقد، رغم انني لا استطيع اثبات ذلك، أن عمي... قتل والدي.»

صدم الماركيز لسماع هذا القول، رغم أنه كان يتوقع ذلك تقريباً.

لكنه ما لبث أن حدث نفسه بأن اتهام كارا المباشر لعمها، ليس إلا نتيجة لكراهيتها الشخصية له.

فقال بصوت هادىء رزين يعرفه أولئك الذين كانوا يستشيرونه في القضايا السياسية: «لماذا لا تخبرينني بما حدث بالضبط؟»

ابتدأت بالكلام بينما كان يزن كل كلمة تقولها، وذلك ليتأكد من حقيقة ما تقول.

تنهدت كارا ثم ابتدأت تقول: «كنا جميعاً، والديّ وأنا، نسكن في المنزل الكبير الذي كان ملكاً لأسرة ماتلوك منذ مائتي عام. كان جدي يريدنا أن نسكن هناك معه تفادياً للوحدة، وكان في الحقيقة، يحب والدي كثيراً.»

سكتت لحظة عادت بعدها تقول بشكل بدا للماركيز وكأنها تحدث نفسها: «كنا سعداء... سعداء جداً.»

سألها: «ماذا حدث إذن؟»

«اصيب جدي بالمرض، ورغم أن عمي ليونيل لم يكن ليأتي إلى البيت إلا إذا كان بحاجة إلى نقود، فقد رأى والدي أنه من الافضل ابلاغ شقيقه بما يعتقده الاطباء من أن جدي قد يموت بين يوم وآخر.»

أدرك الماركيز من طريقة كلامها مبلغ ما كانوا عليه من الحزن والقلق.

تابعت تقول: «لم أكن قد رأيت عمي منذ سنوات وعندما

رأيته عند ذاك، وكنت اكبر سنا، أدركت بالضبط شخصيته الحقيقية. كذلك أدركت أنه يحسب كم سيرث إذا مات جدي، كما ادركت ايضاً كم كان يكره والدي لأنه الوارث القانوني.»

فسألها الماركيز: «وهل كان والدك يدرك ذلك؟»

«لقد كان والدي دوماً يحاول مساعدة عمي ليونيل حتى انه كان يعطيه المال والذي لم نكن لنحصل عليه بسهولة، لكي يسددَ ديونه.»

«أظن انه كان في ذلك الوقت مديوناً؟»

«مديون جداً كما علمنا فيما بعد، عندما باع كل شيء غير ضروري في البيت.»

خيل إلى كارا أن الماركيز يشعر بالدهشة، فقالت توضح له الامر: «كان ذلك بعد أن مات والدي وورث هو كل شيء.»

«وكيف حدث ذلك؟»

«قبل أن يتوفى جدي بيومين، كنا قد أدركنا جميعاً أن ليس هناك أي أمل في إنقاذه، خرج والدي وعمي ليتنزها معاً... ولكن عمي عاد بمفرده...»

مضت لحظة بدا فيها انه من الصعب عليها الاستمرار في الكلام، ولكنها ما لبثت أن ارغمت نفسها على الاستمرار، قائلة: «حسب ما قاله عمي، قفز الاثنان من فوق سياج عال جداً، لكن جواد والدي سقط ملقياً إياه على الارض بقوة فحطم عنقه.»

«لكن، ألم تصدقي أن الامر كان حادثاً لا اكثر؟»

«كان والدي فارساً ممتازاً وكان يعرف كل سياج وكل مكان يصلح للقفز في أراضينا. فهو ما كان ليدع ابداً حصانه يحاول القفز أعلى من قدرته.»

فسألها: «وما الذي جعلك تشكين في أن عمك مسؤول عن موته؟»

«لقد أحضروا والدي إلى المنزل محمولاً فوق بوابة يحملها عمال المزرعة. وفي الليلة نفسها، بعد الحادث بوقت طويل، سألت عمي عما حدث لحصان والدي والذي كان يفضله دوماً على الآخرين لأنه لم يكن يجد في ركوبه أية صعوبة.»

«وما الذي حدث للحصان ذاك؟»

أجابت: «قال عمي ان السقطة كسرت ساقه فأطلق عليه رصاصة الرحمة.»

علم الماركيز ما تظنه وذلك من الطريقة التي تكلمت بها، دون حاجة إلى الكلمات. فقد كان يعلم أنه إذا أطلق رجل عديم الضمير الرصاص على حصان في اللحظة التي يقفز فيها، فإن النتيجة هي سقوطه من ذلك العلوّ بحيث يقتل راكبه بكل سهولة.

ساد صمت قصير قال الماركيز بعده: «هل بإمكانك اتهام عمك حقاً بمثل تلك الجريمة؟»

أجابت: «لقد فكرت أمي، مثلي تماماً، بأن هذا ما فعله حقاً. ولكنها قالت بأن الاتهام لن يعيد والدي إلى الحياة، ولن ينتج عنه سوى إساءة للعلاقات بيننا وبين عمي أكثر مما هي عليه.»

وتنفست كارا بعمق ثم تابعت: «هذا إلى أننا كنا نعتمد مادياً وبصورة كلية على عمي ليونيل. فلم يكن لدى والدي أموال خاصة به حتى ان جدي كان قد خصص له نفقة كتلك التي كان خصصها لابنه الثاني.»

سكتت قليلاً وكأنها تعود بذاكرتها إلى الماضي، قبل أن تتابع قائلة: «حيث أن الزراعة تضررت أثناء الحرب لأن معظم الرجال كانوا يحاربون في البر والبحر، ولم نحصل على المواسم الجيدة، كما أن المستأجرين لم يستطيعوا دفع أجور منازلهم، ما جعلنا في حالة اقتصادية صعبة توجب علينا فيها التقتير البالغ.»

فقال: «أظن الحالة كانت هي نفسها في جميع أنحاء البلاد. وهذا ما يجعلني أظن أن أمك لم تكن تملك نقوداً بيدها.»

أجابت: «لم يكن لدينا شيء. لقد أخرجنا عمي من المنزل الكبير إلى حيث أعطانا كوخاً صغيراً في الاملاك لم يؤثثه إلا بالقليل الضروري دون أن يسمح لنا باقتناء أي شيء ذي قيمة.»

شعر الماركيز بما كان في ذلك من إذلال لهما، بينما كانت هي تتابع: «من حسن الحظ انه كان بمقدور أمي أن تثبت بأن جدي كان قد منحها جوادين هدية منه، وهكذا كان لدينا، على الأقل، شيئاً يمكننا الانتقال به من مكان لآخر.»

نظرت إلى الماركيز وكأنها تعتقد بأنه يقدر مدى اهمية ذلك، ثم تابعت تقول: «لقد أغلق عمي ليونيل المنزل الكبير في الريف وذهب للعيش في لندن. طرد الخدم رافضاً إعطاءهم أية تعويضات، وتصرف بطريقة جعلتني أخجل لكوني من هذه الاسرة.»

فكر الماركيز بأن هذه هي التصرفات اللااخلاقية المتوقعة من ماتلوك.

لكن لم يكن من فائدة تذكر في قول ذلك، فلقد كان اهتمامه

منصباً على ما حدث لكارا، وقال: «لا بد أن هذا كان في العام ١٨١٥.»

كانت هذه السنة، سنة انتهاء الحرب، وكان هو ما يزال في أوروبا بعد انتصار ويلينغتون في معركة واترلو.

قالت كارا: «كان التقشف الذي قارب الجوع، يسود البلاد، ذلك في الوقت الذي ابتدأ الرجال فيه يعودون إلى البلاد بعد صرفهم من الجيش ولكن أمي كانت مهتمة كثيراً بحصولي على ثقافة جيدة.»

رقّ صوتها وهي تتابع: «كان لديها، لحسن الحظ، بعض المجوهرات، كان والدي قد أهداها إياها على مر السنين، فباعتها لكي تدفع أجور أفضل المعلمين الموجودين في الجوار، لكن كان هذا يعني انه علينا العيش بالتقتير وان لا نحصل علي أيّ نوع من الرفاهية.»

بدا في صوتها الآن معنى أشبه بالتحدي ما فهم الماركيز منه أنها لا تريد شفقة احد، على الاخص منه.

كانت تروي قصتها كما حدثت تماماً، وهذا ما كان قد طلبه منها.

لم يتكلم، ولكن عينيه الرماديتين كانتا مسمرتين على وجهها الذي اظهر التأثر البالغ وهي تتابع: «وإذا بأمي تمرض في السنة الماضية. كانت تعسة على الدوام منذ ان مات والدي.»

شعر الماركيز بأن ما تقوله يريحها جداً.

تابعت كارا بلهجة مختلفة كلياً: «عندما تم دفن أمي، جاء عمي ليونيل.»

«وكان قد مضى وقت طويل لم تريه فيه؟»

www.rewity.com/vb

«نعم، منذ أن اقفل المنزل الكبير، وكنت في ذلك الحين في الثالثة عشرة من عمري فقط.»

بدا في صوتها شيء من الذعر وهي تقول: «ما أن دخل إلى الكوخ، حتى أدركت أن مظهري أدهشه وأنني أبدو غير ما كان يتوقع.»

سألها: «أتعنين أنه اشمئز من مظهرك؟»

أجابت: «إن ما علمته، ولا أستطيع أن أفسر لك كيف، هو أنه فكر في أن شكلي قد يكون ذا فائدة له. لقد كنت أكرهه وهو من قتل والدي، ولكنني حينذاك، شعرت بالخوف على نفسي إلى حد لا أستطيع وصفه.»

«هل طلب منك الاقامة في منزله؟»

«لقد أمرني بحزم ما لديّ من ملابس لأرافقه إلى لندن. ولم يكن أمامي من خيار، سوى الطاعة.»

سألها: «ومتى حدث كل ذلك؟»

أجابت: «قبل العيد الوطني مباشرة. أثناء الطريق قال لي: إنك لن ترتدي ثوب الحداد على أمك، وأنا لا أريد بكاءً ونواحاً في منزلي. وبما أنك في سن الزواج فسأجد لك الزوج المناسب.»

«وبماذا أجبته؟»

«أخبرته بأنني لا أنوي الزواج من أي رجل إلا إذا كنت أحبه.»

فقال الماركيز: «أظن أن تمردك ذاك قد أزعجه.»

أجابت: «لقد ضربني. وعندما وصلنا إلى منزله في لندن، وكررت ما سبق وقلته، جلدني بالسوط.»

أدرك الماركيز من التعبير الذي لاح على وجهها مقدار

ما عانته من الخوف الشديد، ولكنها تابعت تقول: «لم يكن بمقدوري القيام بأي شيء. لقد اشترى لي بعض الملابس بعد أن قال إن كل ما أملكه لا يصلح إلا لكيس القمامة. حاولت أن أفكر في إمكانية الهرب، ولكن لم يكن لدي المال لتنفيذ ذلك.»

بدت الحيرة على وجه الماركيز، لأنها كانت قد أخبرته بأن لديها عشرين جنيهاً في جيب سترتها، وكذلك بعض الحلى الثمينة.

تابعت كارا قائلة: «كنت أعلم أن لا فائدة من الهرب دون نقود أدفع بواسطتها أجرة الطريق، وإلى أن حلّ العيد، لم يكن ثمة من أمل في الحصول حتى على شلن واحد.»

«وماذا حدث في العيد؟»

«جاءت إحدى صديقات عمي لتنزل ضيفة في منزله. كانت غنية جداً.»

«ما اسمها؟»

فقالت كارا: «كانت تسمي نفسها الماركيزة دي سيزاري ولكنني علمت من الخدم أنها ليست من طبقة كهذه. وإنما مجموعة مذهلة من المجوهرات، هذا إلى أنها كريمة جداً في العطاء.»

كان الماركيز قد ابتدأ يفهم القصة بأكملها، والتي كانت قد حيرته كثيراً.

وأنصت باهتمام بينما تابعت كارا: «لقد كانت الماركيزة متأثرة بعمي ليونيل لأنه يحمل لقب، وكان هو يحبها أو لعله كان يدعي ذلك.»

قال: «كنت تعيشين في بيئة غير صالحة. وإني واثق

تماماً من أن أمك، لو كانت موجودة، لما رضيت لك بها.»

أجابت: «لم يكن مسموحاً لي في البداية، بحضور الحفلات التي كانا يقيمانها. ولكن الماركيزة، التي كانت سيدة رقيقة المشاعر للغاية، قالت لعمي ذات ليلة: دع الفتاة تستمتع ببعض المرح. وبعد، إن احتفالات الأعياد، هي للصغار في المكان الاول.»

تابعت كارا قائلة: «لقد ملأتني البهجة لأنني سأحضر الحفلة مرتدية ثوباً جميلاً، رغم أن الضيوف كانوا مجموعة غريبة بحيث أظن ان أمي كانت ستصدم من وجودهم.»

سكتت قليلاً ثم أضافت تقول: «وعلى الأخص من... السيد مورتيمر فروستراث.»

تذكر الماركيز أنه كان ينوي القيام ببعض التحريات عن ذلك الرجل، ولكن مرض الملك الجديد أنساه ذلك.

فقال: «أظنه الرجل الذي أراد عمك أن تتزوجيه.»

أجابت: «لقد شعرت بالكره منذ اللحظة التي رأيته فيها. لم تعجبني نظراته إليّ.»

«وأي سوء بدا لك فيه؟»

أجابت: «لا أدري ما هو الذي جعلني أراه كريهاً منذ البداية، وبعد ذلك أخبرتني إميلي، وهي الخادمة التي تقوم على خدمتي والتي أصبحت تحبني كثيراً، أخبرتني عنه بعض الأمور.»

«ما الذي قالته؟»

انخفض صوت كارا إلى حد الهمس تقريباً وهي تجيب: «قالت إنه يصاب غالباً بنوبات غريبة تجعله يحطم الأشياء أو يجلد بالسوط من قد يراه امامه.»

تسمر الماركيز مكانه ونظر إلى كارا غير مصدق ان اموراً كهذه من الممكن ان تحدث.

سألها: «وكيف أمكن لتلك الخادمة أن تخبرك بمثل هذه الامور؟»

أجابت: «لقد شعرت إميلي بالقلق الشديد لأجلي. كانت قد سمعت عن السيد مورتيمر من خادم عمي ليونيل الخاص. كما أنه أخبرها أن السيد مورتيمر كان على استعداد لدفع عشرة آلاف جنيه لعمي إذا هو سمح له بالزواج مني.»

حينئذ فهم الماركيز السبب في ابتزاز عمها منه ذلك المبلغ بالذات.

لم يكد يصدق أن ثمة رجلاً يحترم نفسه يمكن أن ينحدر اخلاقياً إلى مثل ذلك الدرك. وفكر في أن كراهيته لماتلوك، والتي ابتدأت منذ تعارفهما، كان لها مبرراتها.

قالت كارا بصوت خافت: «أنك تدرك الآن... لماذا... هربت.»

«ولتنفذي خطتك، أخذت معك نقوداً وحلياً تعود إلى الماركيزة.»

فقالت كارا:

«كنت قد ساعدتها في تسريح شعرها في احدى الحفلات. لقد سمح لي بحضور تلك الحفلة لأن السيد مورتيمر أراد أن أكون موجودة. ولكنني أمضيت وقتاً بائساً وأنا أحاول تجنبه.»

تملكتها الحدة وهي تتابع: «لقد ساورتني مرة، رغبة في طعنه بالسكين. ولكنني عدت فكرت في أنني سأفشل في قتله دون ريب، وستكون النتيجة هي أن أتلقى الجلد بالسوط

من عمي ليونيل، والذي كان يزداد عنفاً في كل مرة كنت أقول فيها إنني لن أتزوج أبداً... مثل ذلك الرجل.»

«إذن فقد سرقت حليّ الماركيزة أثناء تقديم المساعدة لها في تسريح شعرها.»

أجابت: «كانت خادمتها الخاصة في الطابق الاسفل.»

قال الماركيز: «وهكذا استوليت على حليّها.»

«ليست نفس الحليّ التي كانت تتزين بها، وإلا كان ذلك غباء مني. ولكن عندما وضعتها في صندوق الجواهر، رأيت في قعره قطعتين لا تتزين بهما مطلقاً، وكما ترى، ما زالتا لدي.»

قال الماركيز: «لقد نسيت ذلك. لا بد أن تعود إلى صاحبتها، إذ لا يمكن أن أسمح لك، بصفتك زوجتي، بأن توجه إليك تهمة السرقة.»

فحملقت فيه، ثم قالت: «إن عمي سيتملكه السرور إذا أنا شنقت لمثل هذه الجريمة. دعني أسلمك الحلى، أرجوك. إني واثقة من أن بإمكانك ايجاد طريقة تعيدها بها إلى الماركيزة دون أن تدرك هي ضياعها.»

قبل أن يجيب الماركيز بالموافقة، إذا بها تهتف قائلة: «إن إميلي ستقوم بذلك لأجلي إذا أنا استطعت الاتصال بها.»

قال: «سنفكر في ذلك بحذر، إنما تابعي قصتك الآن.»

«أخذت الحليتين إلى غرفتي حيث أخفيتها، وفي اليوم التالي أصبحت الماركيزة مريضة جداً بحيث لم تستطع النهوض من السرير. فطلبت مني إحضار منديل لها من احدى الادراج، وبينما كنت أقوم بذلك رأيت مبلغاً كبيراً من المال متناثراً بغير نظام بين أشيائها الاخرى.»

وبدا على كارا شيء من الارتباك وهي توضح قائلة:

«كنت واثقة تماماً من أنها لم تعدها، وأنه ربما ليس لديها ادنى فكرة عن كميتها، لقد كانت غبية تماماً بالنسبة للعملة الانكليزية ودوماً كانت تقول إنها لن تتعلم الفرق بين قطعنا النقدية المختلفة.»

فقال بجفاء: «وهكذا مددت يدك إلى النقود.»

قالت: «كان أمامي إما هذا، وإما البقاء والزواج من السيد مورتيمر. كان عمي قد سبق وأخبرني بأن الزواج سيتم بعد اسبوعين وعلي أن أعد ثوب الزفاف.»

«لقد فهمت الآن لماذا قررت الهرب، وربما في تلك الظروف كان ذلك أفضل ما تقومين به.»

لأول مرة أثناء حديثهما ذاك، شعت عيني كارا وهي تسأله ساخرة: «أتراك حقاً توافقني على عمل قمت به، يا سيدي؟»

ضحك الماركيز قائلاً: «إنك لم تتركي لي خياراً آخر.»

«لقد وجدت بذلة كلية إيثون في غرفة المخزن، قبل ذلك عندما كنت استكشف المنزل. كان هناك عدد منها، وأظنها تعود إلى والدي أو الى عمي ليونيل عندما كانا صغيرين. كان هناك أيضاً أزياء تعود إلى قرن غابر من الزمان على الاقل.»

فقال الماركيز: «إن مخازن الثياب القديمة في منازل لندن مليئة بالأشياء النفيسة. لقد وجدت أمي مرة ثوباً مزيناً بماسات حقيقية وذلك في منزلنا في بروم، وكان قد مضى عليه في المخزن مائة عام.»

هتفت كارا: «لا بد أن أجد صيداً نفيساً إذا أنا عدت إلى هناك.»

انتبه الماركيز إلى أنها قالت كلمة إذا بدلاً من كلمة عندما.

وإذ أدركت هي أنه انتبه إلى زلة لسانها، قالت بسرعة: «أريد أن أتحدث إليك بهذا الامر.»

فقال: «نعم، بالطبع. ولكن هل يمكنني أن أقول أولاً، يا كارا، أنني مسرور لسماعي قصة هربك من منزل عمك كما بإمكاني أن أتفهم الآن سبب شعورك بضرورة ذلك؟»

«كان من سوء حظك، أن وقع اختياري على عربتك كونها تجرها ستة جياد.»

لمع في ذهن الماركيز أنها لو لم تختر عربته لما تعرّض للابتزاز على يدي عمها خاصة وانه يعرفه بالرجل الغني، ومن ثم أجبره على الزواج منها، أو ربما لينتقم منه بصفته عدواً قديماً له.

لكن لم تكن ثمة فائدة من قول هذا لها، فسكت لحظة ثم قال: «ما حدث، قد حدث الآن يا كارا، وأنا أرجو أن نحوّل هذا الزواج السيء إلى زواج ناجح.»

فقالت تسأله: «ولكن أليس بإمكانك فسخ هذا الزواج مبرراً ذلك بأن عمي قد دفعك إليه في محاولة لابتزازك.»

أجاب: «ولكن زواجنا شرعي.»

لشدة غيظه واستيائه من هذا الزواج، لم ينتبه إلى ما بدا في صوته، من برود وحدة وازدراء.

فقالت كارا بصوت خافت: «لدي اقتراح...»

«وما هو؟»

«ما دمت لا تريد الزواج... وكذلك أنا... فلماذا لا اختفي عن الانظار... وبعد سنة أو سنتين، سيكون في الامكان اعتباري... ميتة، وتعود أنت حراً.»

فقال: «انها فكرة تصلح لأخذها بعين الاعتبار، ولكن

انتبهي إلى أنك إذا اختفيت لا شك أن عمك سيتهمني بقتلك مسبباً بذلك فضيحة تدفع البلاد باجمعها إلى البحث عنك.»

نظرت إليه كارا بدهشة وقالت: «هل تظن حقاً أن عمي ليونيل سيفعل ذلك؟»

قال الماركيز: «بل أنا واثق من ذلك. على الاقل لكي يرغمني على شراء سكوته بالمزيد من المال.»

فقالت كارا بغضب شديد: «أكرهه... أكرهه، كيف يسمح له بالاستمرار في ارتكاب الأخطاء؟ إنني واثقة من أنه قتل والدي، وربما أناساً أخرين ايضاً.»

قال الماركيز ببرود: «لا فائدة من افتراضات كهذه دون دليل.»

«ماذا بإمكاني أن أفعل؟»

أجاب: «الجواب بسيط جداً. إنك زوجتي، ولن يكون صعباً عليك أن تتصرفي ولو ظاهرياً، ما يتوقعه العالم من أية زوجة عادية.»

ضحكت كارا وقالت: «إنني واثقة تماماً من أنك تعرف الجواب على ذلك. لماذا أبقى مع شخص يكرهني لأنني ابنة شقيق رجل يكرهه؟»

قال: «سأحاول أن لا أفكر في هذا الأمر الذي وكما تعلمين أنه ليس من الانصاف في شيء. فإذا كنت ابنه شقيق رجل أحتقره وأدينه، فأنت في الوقت نفسه، ابنة والدين محترمين.»

وقفت كارا ثم سارت إلى النافذة لتتطلع منها إلى الخارج.

كان في الخارج حديقة صغيرة في وسطها بركة من حجر منحوت يسبح فيها عادة سمك ذهبي اللون.

ولأن الوقت كان شتاء، لم يكن في البركة ماء، كما أنه لم يكن هناك ازهار ملونة في الحديقة ما عدا بعض النباتات الدائمة الاخضرار.

كانت عيني كارا تنظران إلى ذلك كله، بينما ذهنها مشغول بالتفكير في حياتها المقبلة مع الماركيز والتي ستكون من دون حب، رغم أنه من غير المحتمل أن يضربها أو أن يسيء معاملتها كما كان عمها يفعل.

شعرت بأنها لم تعد تستطيع الاستمرار في مثل ذلك الجو الحافل بالكراهية والوحدة اللتين عاشت فيهما داخل بيت عمها.

حدثت نفسها بأنه سيكون عليها الهرب مهما كان رأيه في ذلك، فهذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنها القيام به.

سألها الماركيز: «ما الذي تفكرين به يا كارا؟»

أجابت بحدة: «على الاقل، أفكاري هي ملكي.»

قال: «ربما يمكنني التهكن بها. لدي شعور بأنك ما زلت عازمة على تركي. عليك أن تعلمي جيداً أنني لن أسمح لك بذلك.»

استدارت كارا لتنظر إليه، ثم قالت: «ما الذي يجعلك بهذه الحماقة فتحملني على البقاء بينما تعلم، كما أعلم أنا، أنك لن تحتمل وجودي هنا؟ انك كلما نظرت إلي ستتذكر الذل الذي الحقه بك عمي ليونيل، ومهما حاولت النسيان، فسيبقى هذا مبعث للضيق، ما سيجعل من حياتنا صعبة لا تحتمل.»

كانت الطريقة التي تكلمت فيها أكثر بعثاً للدهشة من الكلام الذي قالته، فنهض المركيز من كرسيه وسار ليقف بجانبها.

لم تتكلم ولكنها وقفت فقط تنظر إليه وفي عينيها سؤال كان من المستحيل أن يجيب عليه.

مضت لحظة صمت قال بعدها: «إنك تحيرينني يا كارا، لأنك لا تشبهين أية شابة عرفتها في حياتي. ولكنك تمثلين مشكلة سأحاول جهدي في حلها، وقد يكون ذلك أسهل كثيراً لو حاولنا معاً حلها.»

قالت: «إنك الآن تستعمل سبل الدهاء معي، إنك تريدني إلى جانبك لكي أطيعك دون أن أدرك ذلك.»

ضحك الماركيز وقال: «كنت في الواقع أفكر في مبلغ ما سيكون عليه حالنا من الضيق لو بقينا نتجادل ونتشاجر من الصباح حتى الليل. عندما انتهت الحرب، كنت أظن أنني انتهيت من محاربة الاعداء.»

قالت بعنف: «إنني لست عدوتك!»

قال: «كلا، هذا صحيح. لأن محاربة العدو الخارجي لهو امر أسهل بكثير من محاربة العدو الداخلي.»

«إنك تحاول استرضائي وإظهار الرقة نحوي وهذا أكثر خطورة من ان تظهر لي، العداء فتهددني بكل سلاح يصل إلى يديك.»

ضحك ضحكة عفوية من أعماق قلبه، وقال: «إنك تحسنين اللعب على الكلام فتبدلين معانيه بشكل غير عادي. لديّ شعور يا كارا بأنه، ما دام في إمكاننا أن نضحك، حتى ولو كان ذلك على أنفسنا، فلن تكون الامور بيننا سيئة كما تبدو حالياً.»

حوّلت كارا نظراتها عنه نحو الحديقة، بينما عاد الماركيز يقول: «حيث أن هناك الكثير مما عليّ القيام به

تجاه الملك، والذي يطالب دائماً بوجودي الى جانبه، فهل لنا أن نعقد هدنة فيما بيننا؟»

أجابت: «أظن هذا ممكن.»

فقال الماركيز بشيء من السرور: «حسن جداً. عليك أن تبدإي بشراء جهاز العرس لنفسك.»

كان يتكلم شاعراً بأنه من المستحيل على أي امرأة أن ترفض مثل ذلك العرض السخي. فقد كان يعلم أن أي حسناء من أي طبقة في المجتمع، كانت ستشعر بالبهجة لاقتراحه هذا.

لكن كارا بدت مترددة لسبب لم يعرفه. ثم قال: «أريد أن يعجب أصدقائي بزوجتي، وأظن من المهم بالنسبة إلينا نحن الاثنين، الاعتقاد بأن زواجنا هو نتيجة حب نشأ بيننا، وليس لأن عمك أرغمنا على ذلك.»

«ألا تظنه... سيخبر أحداً... بما حدث؟»

أجاب: «لا أظن ذلك. فقد ظفر بما يعتبره فوزاً ساحقاً، وأرى أنه سينتظر حالياً نتيجة ذلك قبل أن يعاود هجوماً لا شك فيه.»

ارتجفت كارا وهي تقول: «إنه... يخيفني.»

قال: «دعيني أطمئنك إلى شيء واحد، بما انك اصبحت الآن زوجي، إذا لمسك مرة أخرى، سأقتله.»

كانت طريقة قوله هذا دون أن يرفع صوته، بالغة التأثير، ما جعل كارا تلتفت إليه بدهشة: «هل تعني... ذلك حقاً؟»

أجاب: «نعم، أعني تماماً. فأنا أمقت وأشمئز من القسوة بكل أشكالها. إنني دوماً أطرد أي خادم يسيء معاملة جيادي، أؤكد لك بأنني عندما أقول إنني سأقتل من يخيفك، فأنا جاد تماماً في هذا.»

قالت: «إن ما تقوله الآن، يجعلني أشعر بالامان لأول مرة منذ... وفاة أمي.»

«أؤكد لك أنك ستكونين في أمان تام ما دمت ستبقين عندي.»

فقالت: «أشكرك، أشكرك كثيراً.»

تابع يقول: «كنت أفكر في أن عمك ربما سيدرك بأن خطته فشلت إذا وجدنا مسرورين تماماً بالوضع الذي أرغمنا عليه، خصوصاً إذا أنا استطعت إقناع أصدقائي والذين سيمتلكهم الفضول لمعرفة السبب الذي جعلنا نتزوج في مثل ذلك الشكل الغريب، بأننا قمنا بهذا العمل بكامل ارادتنا ورضانا وأنه ما كنا نريده من الاساس.»

فقالت بحماس: «هذا حسن... حسن جداً.»

قال: «كنت أعلم أن هذا سيعجبك. ولكن علينا أن نكون حذرين جداً لنرى ما سيحصل، وأعدي نفسك لمقاتلة عمك عندما يحين الوقت.»

فأومأت كارا برأسها مظهرة تفهمها للأمر، بينما تابع الماركيز: «إن أول خطوة لك هي أن تبدي جميلة، لأن أصدقائي يتوقعون مني الزواج من امرأة جميلة، وثانيا، علينا في حضور الآخرين، أن نبدو دوماً في غاية السعادة.»

قالت: «تعني أن هذه التمثيلية ستصيب عمي بالارتباك؟»

فقال: «تماماً. لهذا السبب اقترح عليك أثناء انشغالي مع الملك، ان تشتري لنفسك جهازاً يثير حسد كل النساء الأخريات.»

مرة أخرى، لمس ترددها فقال: «ما الذي يضايقك؟»

فنظرت إليه قائلة: «ربما من الحماقة أن أقول... هذا، وهو أننا، أي أمي وأنا... كنا من الفقر بحيث كنا نخيط ثيابنا بأيدينا... ولهذا فأنا خائفة من أن لا يكون ذوقي... أي من الكفاءة بحيث أدرك ما ينبغي عليّ أن أرتدي بصفتي... زوجتك.»

ابتسم الماركيز وقال: «إنني أفهم ما تريدين قوله، يا كارا، ومن الحماقة أن لا أدرك ذلك بنفسي، ولكن هناك على كل حال، حل سهل تماماً.»

سألته بارتياب: «وما هو؟»

«بامكان الخيّاطات المجيء إلى هنا، وسنختار ملابسك معاً.»

وحدث نفسه قائلاً: انها المرة الأولى التي اشتري فيها جهازاً لزوجتي.» وعلى غير توقع منه، وجد في الامر ما يدعو إلى التسلية.

الفصل السادس

«إنها رائعة الجمال حقاً، يا سيدتي. إنها رائعة!»

هتفت إميلي باعجاب شديد بينما كانت كارا تريها الأثواب التي كانت تصل يومياً من الخياطات. كان هذا رأيها هي أيضاً، واعترفت صادقة بأن الفضل في ذلك يعود للماركيز، فهو من ساعد في جعل هذه الأثواب بمثل هذه الروعة والجمال، حيث أنها لا تملك لا الخبرة ولا الذوق المناسب لتعرف تماماً ما يلائمها.

أخرجت من الخزانة ثوباً بلون أخضر شاحب يماثل لون عينيها، وعندما أمسكت به وقرّبته منها، هتفت إميلي قائلة: «إنه يجعلك تبدين كالزهرة المتفتحة في فصل الربيع يا سيدتي. صدقيني إنها الحقيقة.»

كان الفضول يستبد بها لمعرفة ما يحدث في بيت عمها منذ غادرته، وشعرت بسرور فائق عندما أخبروها بأن إميلي جاءت لزيارتها.

كانت إميلي قد قالت بتواضع: «ربما بدوت وقحة قليلاً، يا سيدتي ولكنني كنت مشغولة البال بشأنك منذ هربت، وكان السيد من الغضب كالمجنون إلى أن قال تيم إنه رآك تدخلين عربة أمام قصر كارلتون.»

هتفت كارا: «إذن، فقد كان تيم هو من رآني.»

كان تيم صبي المطبخ الذي يغسل الأطباق والذي يراه الجميع مزعجاً وغير طبيعي. لكن عندما يروق له، يصبح

فطناً داهية، وكان الخدم يكرهونه لأنه حقوداً وينقل أخبارهم إلى سيده معظم الوقت.

قالت إميلي: «نعم، إنه تيم. فهو يذهب دوماً إلى قصر كارلتون ليتفرج على أفراد الطبقة العليا وهم يدخلون ويخرجون، كما يراقب ايضاً البيوت في حي الأشراف، وإنني لأعجب عما يجعله يهتم بذلك.»

شعرت كارا بالسرور إلى حد ما، إذ عرفت من هو الذي كان رآها وأبلغ عنها.

لقد كان الأرق يصيبها أحياناً وهي تفكر في سوء حظها الذي جعلها تلفت انتباه شخص ما وهي تتسلل داخلة إلى عربة الماركيز، آملة أن تكون قد نجت من عمها.

ومع أنها ما زالت تراودها فكرة الهرب مرة أخرى، وهذه المرة من الماركيز، فقد شعرت بالسرور في أن تشتري من الملابس قدر ما تشاء.

كما أنها كانت تجد الراحة في الحديث إلى الماركيز وصديقه اللورد هانسكيث.

وفي الواقع، لم تكن تجتمع بزوجها مطلقاً إلا بعد أن تقيس لها الخياطة الملابس التي كان يطلبها منها، فكانت تنزل إلى الطابق الأسفل لتريها له حين يكتب الرسائل في غرفة المكتب.

عندما لا يكون خارج المنزل، كان يبدو دائماً وكأن لديه الكثير من الكتابة.

أخذت كارا تدرك تدريجياً، أنه يقوم بدور فعّال في أعمال ومناقشات مجلس اللوردات، هذا بالاضافة إلى انه كان على الدوام في حضرة الملك.

كان الملك قد ابتدأ يشفى لكن ببطء من الإلتهاب الرئوي، ومع أنه كان يريد أن يحضر جنازة والده، إلا أن الأطباء طلبوا منه بحزم عدم المجازفة في عمل كهذا.

أطاع الملك ما طلبه الأطباء منه، وبقي في غرفته، لكنه أصر على أن يبقى الماركيز بجانبه.

الآن، وعندما لم يعد يعاني من المرض، إستبدّ به القلق بشأن زوجته، وفي الواقع لم يكن يأتي في حديثه على أية سيرة أخرى، فكان الماركيز يجبر على سماع سرده لتصرفات زوجته الملكة في أوروبا.

كذلك كان مرغماً على قراءة بيانات طويلة كان الملك يجمعها آملاً بأن يتمكن، عاجلاً أم آجلاً، من ان يطلّقها.

كانت القصص التي تروى عنها من الدناءة والحقارة بحيث أخذ الماركيز يفكر، في كل مرة كان يعود فيها إلى بيته، بأن كارا، مهما تكن هي مختلفة تماماً عما كان يخشى دائماً أن تكون.

كانت، كما رآها أول ما عرفها، سريعة البديهة بالغة الظرف، ما جعل صديقه هنري شديد الإعجاب بها.

قال له في احدى المرات: «ثمة ميزة في زوجتك يا آيفو، وهي أنك لن تسأم منها.»

سأله الماركيز بشيء من الخشونة: «وما الذي يجعلك تقول ذلك؟»

أجاب اللورد هانسكيث: «إنها تملك ذكاء مميزاً، كما أن طريقتها في قول ما تفكر فيه، لهي غير عادية. إن النساء التي مثلها نادرات، خصوصاً وهن شابات.»

اعترف الماركيز بأن هذا صحيح، ولكنه ما زال مستاءً

من الطريقة الابتزازية التي اجبره عمها على الزواج منها. كما كان حانقاً لأن كارا قد سلبته حريته.

لكن كان عليه الاعتراف بأن كارا، أثناء الأمسيات التي كانت تتناول فيها العشاء معه ومع هنري، كانت تشارك في الحديث بذكاء، كما كانت أيضاً مستمعة جيدة.

أما بالنسبة إلى كارا، فقد كانت هذه بالنسبة اليها، تجربة لم تمرّ بها من قبل حيث انها، بالرغم من عدم اعترافها بذلك لنفسها، كان خوفها قد بدأ بالتبدد من الرجال.

لما كان القصر الملكي في حالة حداد، لم تكن هناك اية حفلات تقام، كما أن الماركيز كان قد قال، إنه من الخطأ بالنسبة إليها أن تبدأ باستقبال أصدقائه قبل تقديمها إليهم بشكل رسمي مقيماً لذلك حفلة كبرى حسب تعبيره.

هذا يعني ان عليها أن تبدو بشكل مناسب، اما من ناحيته يريد أن يظهر أن لا شيء غريب في زواجهما الذي كتما أمره إلى حين يصبح بإمكان الملك الاحتفال به.

اعتقدت انه يخجل منها لأنها ليست من نوع النساء اللواتي كان يفضل الزواج بواحدة منهن لو كان له الخيار.

كما كانت مدبرة المنزل في بروم تتحدث عن الماركيز باعتباره مثلاً أعلى، كذلك كان بقية المستخدمين في المنزل في لندن يعتبرونه.

اكثرهم كانوا يعرفونه منذ كان صبياً صغيراً، ولكن هذا لم يفقد نجاحه في جامعة اكسفورد أولاً، ولا في الجيش ثانياً.

كانوا على استعداد لأن يحدثوا كارا عن أهم مراحل نموّه، لكن لأنهم كانوا يعتقدون بأنها غارقة في حبه، فقد كانوا افترضوا أنها ستجد في كل مرحلة هامة، أو طرفة

نادرة كل ما يتعلق بالرجل الذي يعجبون به هم انفسهم ذكرى جميلة.

وفي مقابل مثل هذا الولع البالغ به، كان من المستحيل عليها أن تظهر عدم المبالاة بما يريدون أن يحدثوها به، ورأت أن ذلك لن يدل على عدم تهذيب فقط، بل على قسوة وعدم شهامة.

وجدت نفسها عند ذلك بأنها بدأت تنظر إلى الماركيز على ضوء مختلف تماماً عما كانت تراه به من قبل.

كان سكرتيره السيد كورتيز هو من حدثها عن أهميته في عالم السياسة وكيف أن رئيس الوزراء وبعض اعضاء مجلس الشيوخ، يستشيرونه على الدوام.

سالته كارا: «هل يأتون إلى هنا؟» كانت تحب أن ترى رئيس الوزراء وكذلك اللورد كاستلريغ الذي كان سكرتير وزارة الخارجية.

أجاب السيد كورتيز: «إنهم يأتون أحياناً، ولكنهم يجتمعون عادة في منزل اللورد هاروبي في غروسفينور سكواير.»

هتفت: «إنني أعرف ذلك المنزل، فهو قريب من منزل عمي. إنه يسكن في المنزل رقم ثلاثة واربعين بينما اللورد هاروبي يسكن في المنزل رقم أربعة وأربعين.»

قال السيد كورتيز: «هذا صحيح، وعندما كان الوزراء يتناولون العشاء في منزل اللورد هاروبي في ٢١ حزيران (يونيو) سنة ١٨١٥، اندفع رئيس حرس الدوق ويلينغتون، والميجور هنري بيرسي، داخلين إلى غرفة الطعام يبشران بالنصر في معركة واترلو، وقد احضرا معهما البلاغ

الرسمي من الدوق إلى اللورد باتورست والذي كان في ذلك الحين سكرتير وزارة الحربية.»

هتفت: «يا للروعة. يا ليتني كنت هناك.»

فقال السيد كورتيز باسماً: «إن مثل تلك الحفلات لا تضم السيدات.»

«أرى انه ليس من العدل أن تحرم النساء من حفلات كهذه.» قالت كارا متذمرة بينما ضحك السيد كورتيز.

تمنت لو أنها حين عاشت في منزل عمها، كانت تعلم بتلك الحفلات التي كانت تقام بجوارهم.

قالت الآن تحدث إميلي: «هل استقبل اللورد هاروبي الذي يسكن بجوار عمي، كثيراً من الزوار مؤخراً؟»

أجابت إميلي: «لا أدري في الحقيقة، يا سيدتي، ولكن بإمكاني أن أعلم ذلك حالاً.»

سألتها كارا: «وكيف بإمكانك ذلك؟»

فبدا الخجل على إميلي وهي تقول: «حسناً، في الواقع يا سيدتي أن أحد خدم السيد يتقرب إليّ، وهو يجد الأعذار المختلفة لكي يأتي لرؤيتي. إنه ثرثار نوعاً ما، وأظنه سيخبرني بكل ما أريد معرفته.»

رأت كارا أنه ما كان يجب أن تطلب مثل هذه المعلومات، ورغبة منها في تغيير الموضوع، قالت: «هل أقام عمي الحفلات منذ غادرت منزله؟»

أجابت إميلي: «الحفلات الصغيرة فقط، يا سيدتي ولكن هناك رجل عجيب جداً يأتي إلى المنزل وقد أخبرنا تيم أنه كان في السجن بتهمة شتمه للورد سيدماوث.»

كانت كارا قد سمعت الماركيز واللورد هانسكيث

يتحدثان عن اللورد سيدماوث فعلمت أنه سكرتير في وزارة الداخلية.

سألتها: «ما الذي يجعل عمي يتعامل مع رجل خارج من السجن؟»

«لا أدري. إنني لا أستمع إلى ما يقوله تيم. فهو دوماً يقول أشياء تقشعر لها الأبدان. ولكن هل تذكرين ألبرت؟ كان أمس يقول إن ذلك الرجل السيد تيستلوود وعمك يخططان لشيء ما، وهو لن يندهش إذا كان في الأمر جريمة.»

اخفضت إميلي صوتها لكي تجعل ما تقوله يبدو خطيراً.

قالت كارا: «لا أظنك جادة في كلامك.»

لكنها تذكرت ما سبق واشتبهت به في أن عمها قد قتل والدها، فإذا كان قد اقترف مثل هذه الجريمة مرة، فليس ثمة ما يمنعه من ارتكابها مرة أخرى.

أعادت الثوب الذي كان في يدها إلى الخزانة، ثم قالت: «ربما كان ألبرت يبالغ، ولكن أخبريني بما سمعه.»

كانت تتكلم وهي تعلم أن ألبرت لا بد وانه كان يستمع من وراء باب الغرفة التي كان عمها يتحدث فيها إلى ذلك الرجل تيستلوود.

قالت إميلي: «أظن ألبرت يقول الكثير من الكلام الفارغ، وأنا لا اصغي إلى نصف ما يقوله لكن قبل أن أعود إليك في المرة القادمة، يا سيدتي سأكون قد استخلصت منه القصة بأكملها.»

بعد أن ذهبت إميلي، أخذت كارا تمعن الفكر في ما قالته الخادمة، ثم رأت أنه من غير المعقول أن يورّط عمها نفسه في أيّ عمل إجرامي آخر، لكن ما يدعو إلى الدهشة هو أن الخدم يعلمون جيداً بكل ما كان يجري.

www.rewity.com/vb سنو وايت

كانت تهتم بنوع خاص بحفلات اللورد هاروبي، لأنها كانت تعلم أن الماركيز يحضرها.

أخذ اهتمامها بالسياسة يتزايد من الطريقة التي كان يتحدث بها الى صديقه هنري امامها. لقد أدركت أنهما هما الإثنين، يشعران من الأعماق بأنه إذا لم يتصرف المسؤولون بسرعة فإن ثورة اجتماعية لا بد وأن تنشأ في محاولة للإطاحة بالحكومة.

كانا ينسيان وجودها في اغلب الاحيان، فكانا يتحدثان بجد واهتمام إلى حد كانت تتمنى لو تدوّن ما يقولانه لكي لا تنساه فيما بعد.

أخيراً قررت أن تعرف كل ما يتعلق بذلك الرجل تيستلوود، فقد يكون من الرجال الذين يخشى منهم اثارة المتاعب.

وفي ذلك المساء، عاد الماركيز من القصر في وقت متأخر جداً، ذلك أن الملك أمسكه عن الخروج إذ كان في أشد الغضب لما ظهر من صور كاريكاتورية ومنشورات هجائية كانت تباع في الحوانيت والشوارع. ان جورج كريكشانك، ووليام هوم، وجمع آخر من الكتاب الساخرين والفنانين ناصروا الملكة وسخروا من الملك.

كان الملك يصرخ بثورة شديدة: «لا بد من التصرف.»

لكن لم يكن لدى الماركيز حل جاهز لهذه المشكلة.

ففي كل يوم كانت تظهر العشرات من أمثال هذه المنشورات العدائية، الحافلة بالشتائم ضد الملك، والتي كانت تملأ الشوارع، بينما كل محاولة للبحث عن مصدرها كانت تبوء بالفشل.

قال الملك بمرارة: «كان عليهم أن يدركوا أن هذه الأشياء

تشجع الملكة على التصرف بشكل أسوأ من السابق.» ولم يجد الماركيز إلا الأسف العميق ليشعر به نحوه.

عندما وجد كارا في انتظاره في غرفة الجلوس، شعر بالإرتياح بعد تلك الساعات الطويلة التي أمضاها برفقة الملك يتحدثان عن الملكة وسلوكها المعيب لألوف المرات.

كانت كارا تبدو صغيرة جداً، وكما اعترف الماركيز بينه وبين نفسه، بأنها بالغة في الجاذبية في احدى أثوابها الجديدة التي اشتراها لها.

كان لون الثوب يماثل لون عينيها كما كان عدد من أثوابها الأخرى، وذلك لأن الماركيز قد رأى أن اللون الأخضر الفاتح، يظهر بشرتها أنصع بياضاً ويمنح شعرها وعينيها تألقاً.

قفزت كارا واقفة وهو يدخل الغرفة، ثم قالت: «لقد تأخرت جداً. لقد خشيت أن يكون قد جرى لك شيء ما.»

«لقد أخّرني الملك، وأنا من التعب بحيث لا أستطيع الاعتذار عن هذا التأخير.»

«ليس ثمة حاجة تدفعك إلى ذلك، فأنا اتفهم الأمر تماماً وكذلك الطاهي. كما انني على ثقة من أن الطعام لم يفسد.»

أجاب الماركيز وهو يسرع بالصعود إلى غرفته: «لن أتأخر في تغيير ملابسي.»

عندما عاد، كان هنري والذي كان قد أبلغ بأن العشاء سيتأخر، قد وصل وأخذ يتكلم مع كارا.

كانا جالسين على الأريكة، وعندما دخل الماركيز إلى الغرفة خيّل إليه أنهما مستغرقان في حديث خاص نوعاً ما.

ولكنه ما لبث أن أبعد هذه الفكرة عن رأسه لما تربطهما ببعضهما البعض من صداقة.

ولكن هذه الفكرة عاودته أثناء العشاء مرة بعد مرة إلى أن ابتدأت تضايقه.

قالت كارا عندما جيء بالحلوى بعد الطعام: «كنت، قبل العشاء، أسأل اللورد هانسكيث عما إذا كان قد سمع برجل يدعى تيستلوود.»

فقال اللورد هانسكيث: «إن السيدة تشتبه في أنه كان في السجن لسوء أخلاقه.»

قال الماركيز ببرود: «إنني سمعت به، ولا أدري لماذا تهتم كارا بشخص مثله.»

رأى كارا وهنري ينظران إليه بفضول، فتابع يقول: «تيستلوود كان سيداً محترماً فانحدر في هوّة الفساد حيث خسر كل أمواله، فأخذ يزعج أعضاء في البرلمان بكثرة طلباته.»

قالت كارا: «فهمت أنه دخل السجن لمدة عام كامل بعد ان اهان اللورد سيدماوث.»

أجاب الماركيز: «أظنك قرأت عن ذلك في الصحف. من المؤكد أن تصرفاته كانت مشينة وكان الحق مع سيدماوث في استعمال القوة تجاه مثل ذلك الرجل البالغ الإزعاج.»

فقالت كارا: «إنه الآن خارج السجن.»

قال الماركيز: «ولكنه سرعان ما سيعود إليه إذا عاود مضايقة الآخرين.»

قال هنري: «وبإمكانه أيضاً أن يسبب الكثير من المتاعب.»

قال الماركيز بلهجة قاطعة: «أظن ذلك بعيد الإحتمال.» ثم غيّر الموضوع.

عندما ذهبت كارا إلى غرفتها، أخذت تعيد التفكير في ما قيل وما لبثت أن تأكدت من أن الماركيز، إذا علم بأن تيستلوود يقابل عمها، فهو سيرتاب في ما يخططان له من عمل لا بد أن يكون سيئاً.

من كل ما سمعته من أحاديث كانت تدور بين الماركيز واللورد هانسكيث، بدا من المؤكد أن الثورة التي كانا يخافان من اندلاعها لن تحدث إلا إذا توفر لمن يريد القيام بها صفات القائد المناسب.

كان خيالها من الخصوبة بحيث أدركت أن من قال عنه الماركيز أنه سيداً محترماً يمكن أن يكون الشخص المناسب لتنظيم وإعداد الثورة ومنحها الإتجاه والهدف الصحيح.

وصممت على أن تعرف المزيد من إميلي.

عندما كان هنري على وشك الخروج، سأل: «هل ستذهب للتريض في الحديقة العامة غداً صباحاً، يا آيفو؟»

أجاب الماركيز باسماً: «طبعاً.»

فقال هنري: «سأقابلك هناك إذن. لقد اشتريت أمس حصاناً جديداً وأريدك أن تلقي نظرة عليه قبل أن أرسله إلى منزلي في الريف.»

أجاب الماركيز: «يسرني ذلك. وحالما أستطيع الحصول على رخصة من الملك، سآخذ كارا إلى بروم وأرجو أن ترافقنا إلى هناك.»

فقال هنري: «إنك تعلم أنني لا أرفض دعوة منك أبداً، ولا الفرصة التي قد تسنح لي بركوب صهوة جيادك.»

قال الماركيز: «وكذلك أنا أتطلع إلى ركوب صهوة أحد جيادي. إنك لم تر بعد ممنون.»

فقال هنري باسماً: «انه الحصان الذي أتلهف شوقاً لرؤيته. لطالما حدثتني عنه.»

كانت كارا تستمع باهتمام. لقد أصبحت تعلم الآن كم هي عزيزة جياد الماركيز عنده. وكانت قد لاحظت أنه حين كان يتحدث عنها، كانت لهجته تختلف تماماً عن أي شيء آخر يتحدث به.

حدثت نفسها بشبه ابتسامة بأنه ربما كان عليه أن يتزوج حصاناً، وتساءلت عما إذا كان من الممكن أن يغرم يوماً بامرأة بقدر غرامه بحصانه ممنون.

كانت تعلم أن ما يزعجه هو اضطراره للبقاء في لندن هذه المدة الطويلة، والتعويض الوحيد الذي يجده هو الركوب للنزهة في الصباح الباكر يومياً وذلك حين تكون الحديقة خالية تقريباً من الرواد.

وفكرت في أنها ستطلب منه السماح لها بمرافقته حين يصبح ثوب الركوب خاصتها جاهزاً.

لكن كان يساورها شعور بالضيق بأنه سيراها، عند ذاك، متطفلة على نزهته واستمتاعه بها، وسيجد من الأفضل لها أن تستمر كما تفعل الآن، في الركوب برفقة سائس أثناء النهار لاستنشاق الهواء النقي لا غير دون أي نوع من التريض والحركة الفعّالة.

فكرت في أنها عندما يذهبان إلى بروم ربما سيكون بإمكانها أن تظهر له مقدار مهارتها في الركوب. وحيث أنهما نفرا من بعضهما البعض وذلك منذ اللحظة الأولى

لزواجهما، فقد وجدت صعوبة في أن تطلب منه بعض الطلبات الخاصة.

كانت فكرة الابتعاد عن الماركيز ما زالت تراودها بشكل كبير، وقد طلبت من إميلي أن تحضر إليها بذلة رجالية أخرى من غرفة المخزونات في منزل عمها.

فسألتها إميلي: «وماذا فعلت بتلك البذلة التي هربت بها، يا سيدتي؟»

أجابت كارا: «لقد نظرت إليها مدبرة المنزل في بروم بفزع، ولا شك أنها أحرقتها بعد ذلك.»

ضحكت إميلي وهي تقول: «لقد كنت في غاية الشجاعة يا سيدتي إذ تذهبين بذلك الشكل، وهذا لا يعني أنني ألومك خاصة وان السيد كان يضربك كما يضرب الكلب طالباً منك أن تتزوجي ذلك الرجل.»

فقالت كارا: «إنني سأبقى شاكرة لك دوماً لما أخبرتني به. ولولا ذلك ربما كنت تزوجته.»

ارتجفت لهذه الفكرة، وحدثت نفسها بأنها رغم كرهها للزواج، إلا أن الماركيز لا يضربها على الأقل.

ومنذ ان أقفلت، بشكل تلقائي، الباب الذي بين غرفتيهما، وكذلك باب غرفتها الذي ينفذ إلى الممر أثناء الليل، وذلك منذ الليلة الأولى حين جاء يقول إنه يريد التحدث إليها، أدركت أنه لم يحاول بعد ذلك الحضور إليها مطلقاً.

والآن بعد أن ازدادت معرفتها به، أصبحت واثقة من أنه لم تكن لديه ذرة من الاهتمام بها كامرأة، وكان اهتمامه الحقيقي هو أن لا تجلب له العار أثناء حملها لإسمه.

لقد ابتدأ الاطمئنان يتسرب إلى نفسها تدريجياً، فلم تعد

ترتعب كلما دخل الغرفة، كما أنها لم تعد تراقبه متوجسة وكأنه وحش قد يتقدم نحوها في أية لحظة.

ما أن أخذت آثار جروح ظهرها في الشفاء، حتى أصبحت لا تكاد تلحظ، أخذ عقلها يكيّف نفسه للعيش مع الماركيز في صداقة متبادلة.

في صباح اليوم التالي سمعته يغادر غرفته في السابعة والنصف فعلمت أنه ذاهب في نزهته إلى الحديقة العامة.

شعرت، ولأول مرة بدافع يدفعها للذهاب معه، وعزمت على أن تسأله، عندما يعود عما إذا كان بإمكانها أن تذهب هي أيضاً، عندما تكون الحديقة خالية، للتنزه مثله تماماً.

وإذا بخاطر يخطر لها فجأة، وهو أنه قد يكون ذاهباً لمقابلة امرأة قد اعتادت أن تشاركه تلك النزهات قبل زواجه.

كما أن الخدم كانوا قد ذكروا امامها اعجاب النساء به في معرض حديثهم عنه.

لقد قالت مدبرة المنزل في ذلك الحين: «ظننت يوماً أن الماركيز سيتزوج من ابنة دوق نيوكاسل وهي أجمل شابة رأيتها، ولشدّ ما كانت ستبدو جميلة عندما تتزين بمجوهرات آل بروم في الحفلات التي يقيمها الأمير في قصر كارلتون.»

فقالت الخادمة روبنسن والتي ما زالت في خدمتها حتى الآن: «لم اعتقد قط أنها ستكون محظوظة بالزواج منه.»

فسألتها مدبرة المنزل: «ومن كنت تظنينه سيتزوج إذن؟»

أجابت الخادمة: «كانت هناك كثيرات يمكنه أن يختار منهن من يشاء. ولكنني كنت دوماً أرى أن أجملهن كانت اللايدي إيلين واينتر، ولا شك في أنها اعجبت به.»

«دعيني أتذكر... آه، لقد تذكرتها الآن، ولشدّ ما كان حزنها عندما جاءها نبأ مقتل زوجها في الحرب.»

إذ شعرن بحماقتهن في طرق هذا الموضوع أمام كارا، أسرعن بتغييره وذلك بالعودة إلى التحدث بقصص الماركيز عندما كان فتياً.

وحدثت نفسها بأنها إذا هربت منه فلن يعثر عليها بعد ذلك، وبالتالي يعود حراً كما كان.

لكنها ما لبثت أن أدركت أنها عادت إلى نقطة البداية حيث ابتدأت أحلامها وانتهت، إذ كانت تفتش عن الحرية إنما غير قادرة على الحصول عليها.

• • •

«هاك ما طلبت، يا سيدتي، وأظنه سيلائم قياسك كالبذلة السابقه.»

كانت إميلي قد وصلت عند العصر عندما عادت كارا من نزهتها في الحديقة العامة. وأثناء كلامها، فتحت لفافة أخرجت منها بذلة مؤلفة من سروال وسترة، فكرت كارا في أنها لا بد كانت لوالدها حين كان غلاماً.

فقالت: «إنها أوسع قليلاً من البذلة الأولى كما أن السروال طويل جداً.»

قالت إميلي: «يمكنك أن تثنيه من الأسفل أو سأخيطه لك بنفسي.»

أجابت كارا: «كلا، لن أثقل عليك الآن. ولكنني سأدعه جانباً الآن ليكون جاهزاً عند الحاجة.»

فقالت إميلي: «لا أظنك ستكونين بحاجة إليه، يا سيدتي،

فأنت لن تفكري في الهرب من سيادة الماركيز، فهو رجل ممتاز، كما ان الملك يحترمه جداً.»

سألتها كارا: «هل لديك أخبار أخرى عن تيستلوود؟»

أجابت إميلي: «كنت على وشك أن أخبرك عنه، فالبرت يقول إن هنالك أشياء غريبة جداً تحدث، وهو يظن أن اللورد هاروبي نفسه في خطر.»

فسألتها كارا: «وما الذي يدعوه إلى هذا التفكير؟»

«لقد أخبر السيد تيستلوود عمك أنهم إذا استطاعوا التخلص من اللورد هاروبي والوزراء فسيكون في إمكانهم حينذاك أن يقودوا جموع الناس الذين ضاق ذرعهم بالحكومة بأجمعها، إلى التوجه نحو كل الأماكن الهامة مبتدئين بثكنات الجند في حديقة هايد بارك.»

حملقت كارا في إميلي غير مصدقة: «ما الذي تقولينه يا إميلي؟ عودي إلى البداية وحدثيني بالضبط بالذي سمعه ألبرت.»

ولأنها كانت تتكلم بحدة بالغة، خشيت من أن تخاف إميلي وترفض الكلام، فأضافت تقول بسرعة: «نحن الاثنتان نعلم بأن ألبرت يتنصت من خلف الأبواب، وأنا لا أقول إنني لا أستحسن منه ذلك، لأنني واثقة من أن عمي والسيد تيستلوود لا يضمرون خيراً، ومن المهم بالنسبة إلينا أن نعرف ما يخططان له.»

«نعم، طبعاً يا سيدتي، ولكنك تعلمين أخبار ألبرت، فنصفها يكون صادقاً والنصف الآخر كاذباً.»

قالت كارا: «نعم، أعلم ذلك. ولكن أخبريني ما قاله على كل حال.»

«ما سمعه هو أن السيد تيستلوود هذا لديه جماعة من الناس تابعون له. ويظن ألبرت أنهم يخططوا لمهاجمة منزل اللورد هاروبي أثناء حفلة العشاء القادمة التي سيقيمها، ومن ثم يغتالون كل الموجودين.»

فهتفت كارا بدهشة: «لا أصدق هذا.»

«هذا ما أخبر به سيدنا. لقد خططوا لكل شيء.»

سكتت كارا للحظة، ثم قالت: «أين يسكن السيد تيستلوود؟»

اجابت إميلي: «ألبرت لا يعلم ذلك. فهو يجتمع برجاله أولئك في اصطبل في شارع كاتو.»

سألتها كارا: «وأين يقع ذلك الاصطبل؟»

«إنه في مكانٍ ما، بعد طريق ادغوار. وقد سمعهم ألبرت يقولون بأن لديهم هناك كل أنواع الأسلحة، وعندما تبدأ ثورتهم ستكون كبيرة.»

ارتجفت كارا، وشعرت بأن هذا هو نوع المؤامرات التي يحبها عمها، وعلى كل حال، فقد بدا من المستحيل عليها أن تصدق أنه يتآمر مع متمردين للإطاحة بالحكومة أو حتى لإثارة المتاعب.

لقد كانت قد قرأت في الصحف عما يحدث في الشمال.

كانت تعلم أنه في السنة الماضية في بلدة سانت بيتر، حيث كان المكان كساحة حرب، خمسون ألفاً من العمّال العزل كانوا هدفاً لنيران بنادق أصحاب الأراضي.

لقد ثار غضب عارم مما حدث، ومع هذا استمرّ أعضاء الحكومة في استعمال المزيد من القوة وكبح جماح أي معارضة أو احتجاج.

وكانت إميلي تقول: «سأعرف المزيد من ألبرت.» لقد بدا واضحاً أنها تجد سروراً في تزويد كارا بالمعلومات التي طلبتها منها.

قالت كارا: «نعم، افعلي ذلك. هل يجتمع أولئك الرجال بالسيد تيستلوود كثيراً؟»

«أظن يومياً، يا سيدتي. لقد قال ألبرت إنه سمع السيد يقول في المكتبة، هذا الصباح: «أخبرهم بما أقول، يا تيستلوود، وتعال إليّ غداً صباحاً.»

لم تقل كارا شيئاً، بينما أسرعت إميلي بالخروج، وبعد ذلك بفترة قصيرة جاءت روبنسن لتساعدها في تغيير ملابسها للعشاء.

ارتدت احد أثوابها الرائعة الجمال التي صنعت لأجلها، وفكرت، بينما كانت تنظر إلى صورتها في المرآة، أن الماركيز سيسرّه رؤية هذا الثوب، بوجه خاص، فهو بالضبط كما أراده أن يكون.

كان أبيض اللون مزيناً بباقات صغيرة من أزهار الماغنوليا بأوراقها القاتمة الخضرة، ما جعل الثوب انيقاً ويختلف عن أي ثوب رأته كارا من قبل.

ألقت نظرة على الساعة فوجدت أن الوقت قد تأخر بها فقالت لروبنسن: «عليّ أن أسرع، فالسيد سيشعر بالإنزعاج إذا تأخرت وتلف العشاء.»

أجابت روبنسن: «لا أظن أن السيد قد عاد إلى المنزل، يا سيدتي.»

«لم يعد بعد؟ الساعة الآن تقترب من الثامنة إلا ربعاً.»

ودون أن تنطق بكلمة أخرى، فتحت باب غرفتها وهرعت تهبط السلم.

كان بيتسون، رئيس الخدم في الردهة فسألته: «ألم يعد السيد بعد؟»

أجاب: «لقد كنت على وشك أن أرسل من يخبرك يا سيدتي أنه في أشد الأسف لعدم تمكنه من الحضور لتناول العشاء حيث أن الملك يريده معه.»

مضت لحظة لم تجب فيها كارا، وما لبثت أن قالت بصوت تتخلله الكآبة: «أخبر الطاهية من فضلك أنني جاهزة لتناول العشاء.»

* * *

لم يكن الماركيز يفكر، وهو عائد إلى منزله، في زوجته التي تناولت العشاء بمفردها، بل في الملك ومشاكله، والتي ضاق صدره بها إلى حد أبلغ معه اللورد تشامبرلين بأنه ينوي الرحيل إلى بلدته بروم بعد الغد.

قال له: «علي أن ابتعد من هنا، وكلما أسرعت في هذا كان ذلك أفضل.»

ثم، وكأنه شعر بأن عليه إيضاح ما يقول، أضاف قائلاً: «لقد وعدت هاروبي أن أتناول العشاء معه ومع الوزراء غداً، ولكن هذا آخر موعد عليّ أن أذهب إليه في لندن، وذلك لمدة أسبوع على الأقل، وربما أسبوعين.»

أجاب اللورد تشامبرلين: «لا يمكنني لومك، فقد منعك وفاة الملك الراحل ومرض الملك الحالي حتى من رؤيتك زوجتك.»

فهتف الماركيز: «هذا صحيح.» ولكنه لم يطل الموضوع اكثر.

والآن، وهو يقترب من منزله، رأى أن ذهابه مع كارا إلى الريف قد تكون فكرة حسنة، إذ يمكنه بذلك أن يعرف كارا بشكل أفضل.

كان قد سبق له وان علم، بأنها فارسة جيدة، لذلك قد يهمها أن تجرب بعض جياده السهلة الانقياد.

فكر كيف أنهما يتفقان في حب الخيل، ووجد نفسه يفكر في ما بدت عليه من الجمال في الليلة السابقة وهي ترتدي احدى تلك الأثواب التي كان قد صممها لها بنفسه، والتي تصلح لأي مناسبة اجتماعية غير عادية.

وقفت العربة أمام بابه، فركض خادم يفتح له بابها، وما أن نزل الماركيز منها ودخل إلى ردهة المنزل، حتى قال بيتسون: «عفواً يا سيدي، ولكن هناك فتاة شابة تدعى إميلي تصرّ على رؤيتك. لقد أخبرتها أن الوقت متأخر، لكنها انتظرت وطلبت مني أن أخبرك بأن الموضوع هو قضية حياة أو موت.»

كان رئيس الخدم يتحدث بطريقة لا مبالية شأن من يبلغ رسالة لا يعتقد كثيراً بصحتها.

مضت لحظة أخذ الماركيز يتساءل أثناءها أين تراه سمع باسم إميلي من قبل، ثم ما لبث أن تذكر، فقد أخبرته كارا بأن إميلي هي التي كانت قد ساعدتها على الهرب من بيت عمها.

قال: «سأرى تلك الفتاة في غرفة المكتب.» ثم دخل إلى مكتبه وهو يتساءل عما سيسمعه ولماذا لم تخبر إميلي كارا أولاً عما ستخبره به.

نظر إلى الساعة، وعندما رأى أنها بلغت منتصف الليل تقريباً، ظن أن كارا لا بد وانها نائمة، وهذا هو السبب في أن بيتسون لم يشأ إزعاجها.

فتح الباب وأعلن بيتسون في استنكار بالغ: «إنها المرأة الشابة التي تريد رؤيتك يا سيدي.» ومن أول نظرة من الماركيز إليها، أدرك أنها فتاة ذات مظهر محترم، أنيقة في ثوبها وقبعتها السوداوين وبالشال الذي تضعه على كتفيها.

وقفت قرب الباب تنتظر أن يكلمها أولاً.

قال لها: «مساء الخير، عرفت أن اسمك هو إميلي وأنك خادمة كانت السيدة تعرفها عندما كانت تعيش في بيت عمها.»

«هذا صحيح، يا سيدي. وكان يجب أن أراك يا سيدي... يجب عليّ ذلك حقاً.»

سألها: «هل هنالك أمر سيء؟»

أجابت: «سيء جداً جداً، يا سيدي والذنب في ذلك ذنبي. ولكنني أقسم أنني لم أتصور أن تكون السيدة بهذه الحماقة عندما طلبت مني أن أحضر إليها بذلة أخرى، فكرت فقط في أنها تخطط لنوع من المغامرات الطائشة. ولكن لا شيء كهذا... أقسم لك يا سيدي.»

وجعلت الطريقة المضطربة التي كانت إميلي تتكلم بها، الماركيز ينظر إليها بدهشة.

قال لها: «تفضلي بالجلوس، يا إميلي، وأخبريني عن كل ما حصل. إنني لا أفهم شيئاً مما تقولين.»

تقدمت إميلي نحو الكرسي وكأن ساقيها لا تقويان على

حملها إلى هناك، ثم جلست مشبكة يديها معاً بطريقة تدل على القلق وقالت: «عندما أخبرني تيم أنه رأى السيدة، لم أصدق ذلك...»

فقاطعها: «ومن هو تيم ذاك؟»

أجابت: «إنه الخادم الذي يغسل الصحون، يا سيدي، فهو دوماً يجول في الأنحاء متطفلاً على الآخرين داساً أنفه في شؤونهم. وهو الذي كان قد أبلغ السيد أنه رأى السيدة تصعد إلى عربتك وتختبىء فيها، وذلك عندما هربت.»

قال الماركيز: «فهمت. وما الذي رآه الآن؟»

«لقد رأى السيدة تدخل إلى ذلك المكان الذي يتردد إليه أولئك القتلة. عندما أخبرتها عن ذلك لم تكن لديّ فكرة عن أنها ستقوم بمثل هذا العمل. إنهم، إذا عثروا عليها، سيقتلونها حتماً، يا سيدي.»

بدا الارتباك والحيرة على وجه الماركيز، وقال يسألها: «أية قتلة؟ وكيف تعلمين إلى أين ذهبت سيادتها؟»

«لقد رآها تيم، يا سيدي. لقد رآها منذ حوالي الساعتين، وعندما عاد وأخبرني، لم أكن أصدق أذنيّ.»

فسألها الماركيز بصوت هادىء: «وأين رآها؟»

لقد كان يعلم أثناء استجوابه للرجال أثناء الحرب، أن أكبر خطأ هو أن يصيح بهم أو يستعجلهم. إذ أنهم عند ذاك، يصبحون عاجزين تماماً عن الجواب.

أجابت إميلي: «إنه المكان الذي في شارع كاتو يا سيدي، حيث يجتمع المتمردون بقيادة تيستلوود.»

تسمّر الماركيز في مكانه وسألها: «هل قلت تيستلوود؟»

«نعم يا سيدي، وهو الرجل الذي كان يحضر إلى المنزل

ويتحدث مع السيد فسمع ألبرت الخادم ما كانا يقولان.»

«وماذا كانا يقولان؟»

«إنهما يخططان، يا سيدي لمهاجمة حفلة العشاء القادمة التي سيقيمها اللورد هاروبي، لقتله وقتل كل ضيوفه.»

مضت لحظة عقدت بها الدهشة لسان الماركيز لكنه ما لبث أن قال: «وهل أنت أخبرت السيدة بهذا؟»

«نعم، يا سيدي ولكنني لم أدرك... لم أتصور قط أنها ستقوم بأيّ شيء بهذا الشأن أو أن تزور القتلة بنفسها.»

«أتراك تخبرينني بأن هذا ما قامت به الآن؟»

«نعم، يا سيدي. لقد رآها تيم مرتدية البذلة التي أحضرتها أنا إليها من غرفة المخزونات القديمة، وهي تدخل الاصطبل قبل أن يصل السيد تيستلوود وأتباعه مباشرة.»

شعر الماركيز بالتوتر، وقال بنفس ذلك الصوت الهادىء: «هل أخبرك تيم كم يبلغ عدد الرجال؟»

«أربع وعشرون رجلاً يا سيدي، وقد يكونون أكثر من ذلك.»

«هل قلت إن هذا المكان هو في شارع كاتو؟»

«نعم، يا سيدي ويقول تيم انهم اذا رأوها فسيقتلونها حتماً.»

قال الماركيز: «إذن، لنرجو ألا يحدث ذلك. شكراً لك يا إميلي، لشجاعتك التي جعلتك تأتين لتخبريني بما يحدث.»

«هذا واجبي، يا سيدي. إنه واجبي حتى ولو أفقدني عملي، فليس في إمكاني أن أدع السيدة تتعرض للقتل أو للأذى على أيدي أولئك المجرمين. أليس كذلك؟»

حملها إلى هناك، ثم جلست مشبكة يديها معاً بطريقة تدل على القلق وقالت: «عندما أخبرني تيم أنه رأى السيدة، لم أصدق ذلك...»

فقاطعها: «ومن هو تيم ذاك؟»

أجابت: «إنه الخادم الذي يغسل الصحون، يا سيدي، فهو دوماً يجول في الأنحاء متطفلاً على الآخرين داساً أنفه في شؤونهم. وهو الذي كان قد أبلغ السيد أنه رأى السيدة تصعد إلى عربتك وتختبىء فيها، وذلك عندما هربت.»

قال الماركيز: «فهمت. وما الذي رآه الآن؟»

«لقد رأى السيدة تدخل إلى ذلك المكان الذي يتردد إليه أولئك القتلة. عندما أخبرتها عن ذلك لم تكن لديّ فكرة عن أنها ستقوم بمثل هذا العمل. إنهم، إذا عثروا عليها، سيقتلونها حتماً، يا سيدي.»

بدا الارتباك والحيرة على وجه الماركيز، وقال يسألها: «أية قتلة؟ وكيف تعلمين إلى أين ذهبت سيادتها؟»

«لقد رآها تيم، يا سيدي. لقد رآها منذ حوالي الساعتين، وعندما عاد وأخبرني، لم أكن أصدق أذنيّ.»

فسألها الماركيز بصوت هادىء: «وأين رآها؟»

لقد كان يعلم أثناء استجوابه للرجال أثناء الحرب، أن أكبر خطأ هو أن يصيح بهم أو يستعجلهم. إذ أنهم عند ذاك، يصبحون عاجزين تماماً عن الجواب.

أجابت إميلي: «إنه المكان الذي في شارع كاتو يا سيدي، حيث يجتمع المتمردون بقيادة تيستلوود.»

تسمّر الماركيز في مكانه وسألها: «هل قلت تيستلوود؟»

«نعم يا سيدي، وهو الرجل الذي كان يحضر إلى المنزل

ويتحدث مع السيد فسمع ألبرت الخادم ما كانا يقولان.»

«وماذا كانا يقولان؟»

«إنهما يخططان، يا سيدي لمهاجمة حفلة العشاء القادمة التي سيقيمها اللورد هاروبي، لقتله وقتل كل ضيوفه.»

مضت لحظة عقدت بها الدهشة لسان الماركيز لكنه ما لبث أن قال: «وهل أنت أخبرت السيدة بهذا؟»

«نعم، يا سيدي ولكنني لم أدرك... لم أتصور قط أنها ستقوم بأيّ شيء بهذا الشأن أو أن تزور القتلة بنفسها.»

«أتراك تخبرينني بأن هذا ما قامت به الآن؟»

«نعم، يا سيدي. لقد رآها تيم مرتدية البذلة التي أحضرتها أنا إليها من غرفة المخزونات القديمة، وهي تدخل الاصطبل قبل أن يصل السيد تيستلوود وأتباعه مباشرة.»

شعر الماركيز بالتوتر، وقال بنفس ذلك الصوت الهادىء: «هل أخبرك تيم كم يبلغ عدد الرجال؟»

«أربع وعشرون رجلاً يا سيدي، وقد يكونون أكثر من ذلك.»

«هل قلت إن هذا المكان هو في شارع كاتو؟»

«نعم، يا سيدي ويقول تيم انهم اذا رأوها فسيقتلونها حتماً.»

قال الماركيز: «إذن، لنرجو ألا يحدث ذلك. شكراً لك يا إميلي، لشجاعتك التي جعلتك تأتين لتخبريني بما يحدث.»

«هذا واجبي، يا سيدي. إنه واجبي حتى ولو أفقدني عملي، فليس في إمكاني أن أدع السيدة تتعرض للقتل أو للأذى على أيدي أولئك المجرمين. أليس كذلك؟»

أجاب: «كلا بالطبع.»

ثم نظر إلى إميلي وقال: «إن ما أراه، يا إميلي هو ألا تعودي إلى ذلك المنزل حيث قد تتعرضين للخطر بعد ان زودتني بهذه المعلومات. وأرى بدلاً من ذلك، أن تبقي عندنا هنا. إن مدبرة منزلي ستجد لك سريراً، وغداً سنتحدث عما سيكون بشأن مستقبلك.»

انهمرت دموع إميلي على خديها، وقالت: «أشكرك يا سيدي، كنت واثقة من أنهم سيرون الأمر غريباً عندما خرجت راكضة من المنزل بعدما سمعت ما قاله تيم. إنهم يعلمون بمبلغ حبي للسيدة وأنني لن أسمح بأن يحدث لها أي مكروه.»

فقال الماركيز: «لن يحدث لها أي شيء. وستكونين هنا في أمان.»

نهض ثم سار نحو الردهة بخطوات واسعة. وبينما كان يعطي الأوامر لبيتسون بحدة، تساءل عما إذا كان بإمكانه أن ينقذ حياة كارا، وكيف.

الفصل السابع

سار الماركيز بعربته المقفلة نحو شارع كاتو وهو لا يكاد يصدق أن ما قالته إميلي صحيح، لقد تذكر الآن ما قاله لكارا: «انني ساتعشى هذه الليلة في البيت، ولكن ليس غداً حيث أن علي الاجتماع بمجلس الوزراء عند اللورد هاروبي.»

في ذلك الحين لم تعلق بشيء، ولم ير هو في ذلك أي دلالة.

لكنه واثق الآن من أن سبب ذهابها إلى شارع كاتو هو لترى ما إذا كانت قصة إميلي صحيحة، وأنهم ينوون حقاً إغتيال الوزراء في منزل اللورد هاروبي الليلة القادمة.

بدا له الأمر بعيداً عن التصديق، ومع ذلك، كما طالما صرح من قبل، بذور الثورة كانت تنمو بثبات دون أن يقوم أحد بأي عمل في هذا الشأن.

ولكي يتأكد من أن كارا في الخارج حقاً، وليست نائمة، فتح باب غرفتها أثناء صعوده إلى غرفته لتغيير ملابس المساء التي كان يرتديها.

لو كان الباب مقفلاً من الداخل كما هي العادة في كل ليلة منذ زواجهما، لأدرك أن مخاوفه في غير محلها.

لكن عندما فتح الباب ورأى السرير ما زال مرتباً لم يرقد فيه أحد، أدرك بأن كارا قد قامت بأكثر الاعمال جنوناً وتهوراً في حياتها.

لم يكن الماركيز غافلاً عن مبلغ الخطر الذي تتعرض له

www.rewity.com/vb سنو وايت

كارا حالياً، وبعد ان طلب من سائقه ان ينتظر في ساحة هادئة بعد شارع إدغواير، سار وحده نحو شارع كاتو، وهو يحرص على السير في الظلال.

حيث أن الوقت الآن تجاوز منتصف الليل، كان كل شيء هادئاً جداً وكذلك كانت حركة الشارع.

حتى العدد المعتاد من المتشردين المقززين للنفس الذين كانوا يبحثون في الأقنية عن النفايات والخردة، أو عما بامكانهم ان يتسولوه أو يسرقوه من بعض العائدين إلى بيوتهم بعد السهرات الحافلة.

وعندما كان الماركيز يرى شخصاً عن بعد، كان يتوارى عن الأنظار كيلا يتورط في أي شيء غير مستحسن.

عثر على شارع كاتو بكل سهولة، إذ كانت لديه فكرة جيدة عن موقعه.

كان شارعاً صغيراً غير ذي أهمية، يحتوي على بعض الاسطبلات المتداعية تقابل بيوتاً حقيرة على وشك التداعي هي الأخرى، وكان بعضها خالياً، ولكن كان هناك اسطبل نوافذه تلقي بأضواء ذهبية على الطريق المرصوفة وتضيء اسطبلاً مواجهاً أدرك الماركيز أنه لا بد هو المكان الذي وصفته إميلي له.

كان الباب، المحطم المفاصل، مفتوحاً جزئياً ولكنه لم يقترب منه. إنما انتظر في ظل مدخل منزل في الناحية المقابلة من الشارع.

بعد دقيقة أو نحو ذلك، أدرك ان المنزل الذي كان يقف في مدخله خالياً، والنوافذ محطمة، أما الباب نفسه فكان مفتوحاً جزئياً ايضاً.

وهكذا دخل إلى المنزل متوخياً الحذر من أن يحدث أية ضوضاء، ثم وقف يراقب المنزل الذي أمامه.

خيل إليه أنه يرى وميضاً من ضوء يسطع من داخل البناء، ولكنه لم يكن واثقاً من ذلك.

كل شيء كان يبدو هادئاً، ومنذراً بخطرٍ ما.

عند ذلك ابتدأ الخوف يتملكه على كارا.

سأل نفسه عما دعاها إلى عمل طائش حيث تذهب متنكرة بزي غلام لتتنصت إلى مؤامرات وخطط رجال على استعداد لسفك دم أي شخص يغدر بهم.

اعترف بأنها تملك شجاعة خارقة، فهو لا يتصور امرأة أخرى يمكن أن تقدم على مجازفة كهذه.

ولكنها كانت تبدو، منذ عرفها، بالغة الغموض. كانت صغيرة الحجم، دقيقة التقاسيم ومن الجمال بحيث لم يكن يستطيع التفكير في ان تتعرض لأي معاملة فظة أو لتعذيب ما، لكي تخبرهم بما تعرفه قبل أن يقتلوها.

ولأول مرة منذ مغادرته للمنزل، فكر في أنه كان عليه أن يحضر معه معاونين. لكن إذا كانت إميلي على صواب، وكان هنالك أربع وعشرون رجلاً يتآمرون في الاسطبل الذي امامه، كان عليه أن يطلب عدداً مماثلاً على الأقل لمواجهتهم، فمن أين يأتي بكل هذا العدد في هذا الوقت من الليل؟

وعندما أخذ يفكر في ان انتظاره لما سيحدث قد أصبح غير محتمل، وأن عليه القيام بعمل ما، إذا بباب الاسطبل المحطم قد ابتدأ ينفتح ببطء وهدوء.

حبس الماركيز انفاسه، ثم رأى رجلاً يختلس النظر إلى

كارا حالياً، وبعد ان طلب من سائقه ان ينتظر في ساحة هادئة بعد شارع إدغواير، سار وحده نحو شارع كاتو، وهو يحرص على السير في الظلال.

حيث أن الوقت الآن تجاوز منتصف الليل، كان كل شيء هادئاً جداً وكذلك كانت حركة الشارع.

حتى العدد المعتاد من المتشردين المقززين للنفس الذين كانوا يبحثون في الأقنية عن النفايات والخردة، أو عما بامكانهم ان يتسولوه أو يسرقوه من بعض العائدين إلى بيوتهم بعد السهرات الحافلة.

وعندما كان الماركيز يرى شخصاً عن بعد، كان يتوارى عن الأنظار كيلا يتورط في أي شيء غير مستحسن.

عثر على شارع كاتو بكل سهولة، إذ كانت لديه فكرة جيدة عن موقعه.

كان شارعاً صغيراً غير ذي أهمية، يحتوي على بعض الاسطبلات المتداعية تقابل بيوتاً حقيرة على وشك التداعي هي الأخرى، وكان بعضها خالياً، ولكن كان هناك اسطبل نوافذه تلقي بأضواء ذهبية على الطريق المرصوفة وتضيء اسطبلاً مواجهاً أدرك الماركيز أنه لا بد هو المكان الذي وصفته إميلي له.

كان الباب، المحطم المفاصل، مفتوحاً جزئياً ولكنه لم يقترب منه. إنما انتظر في ظل مدخل منزل في الناحية المقابلة من الشارع.

بعد دقيقة أو نحو ذلك، أدرك ان المنزل الذي كان يقف في مدخله خالياً، والنوافذ محطمة، أما الباب نفسه فكان مفتوحاً جزئياً ايضاً.

وهكذا دخل إلى المنزل متوخياً الحذر من أن يحدث أية ضوضاء، ثم وقف يراقب المنزل الذي أمامه.

خيل إليه أنه يرى وميضاً من ضوء يسطع من داخل البناء، ولكنه لم يكن واثقاً من ذلك.

كل شيء كان يبدو هادئاً، ومنذراً بخطرٍ ما.

عند ذلك ابتدأ الخوف يتملكه على كارا.

سأل نفسه عما دعاها إلى عمل طائش حيث تذهب متنكرة بزي غلام لتتنصت إلى مؤامرات وخطط رجال على استعداد لسفك دم أي شخص يغدر بهم.

اعترف بأنها تملك شجاعة خارقة، فهو لا يتصور امرأة أخرى يمكن أن تقدم على مجازفة كهذه.

ولكنها كانت تبدو، منذ عرفها، بالغة الغموض. كانت صغيرة الحجم، دقيقة التقاسيم ومن الجمال بحيث لم يكن يستطيع التفكير في ان تتعرض لأي معاملة فظة أو لتعذيب ما، لكي تخبرهم بما تعرفه قبل أن يقتلوها.

ولأول مرة منذ مغادرته للمنزل، فكر في أنه كان عليه أن يحضر معه معاونين. لكن إذا كانت إميلي على صواب، وكان هنالك أربع وعشرون رجلاً يتآمرون في الاسطبل الذي امامه، كان عليه أن يطلب عدداً مماثلاً على الأقل لمواجهتهم، فمن أين يأتي بكل هذا العدد في هذا الوقت من الليل؟

وعندما أخذ يفكر في ان انتظاره لما سيحدث قد أصبح غير محتمل، وأن عليه القيام بعمل ما، إذا بباب الاسطبل المحطم قد ابتدأ ينفتح ببطء وهدوء.

حبس الماركيز انفاسه، ثم رأى رجلاً يختلس النظر إلى

الخارج متفحصاً الشارع من الناحيتين، وإذ اطمأن، كما يظهر، إلى خلو الشارع فتح الباب قليلاً ومن ثم ابتدأوا ينسلون منه.

كانوا بالضبط ذلك النوع من الرجال الذي يتوقعه الماركيز للقيام بمؤامرة كهذه.

لم يكونوا من العمال المتواضعين الذين لديهم كل الأسباب التي تدفعهم للاحتجاج ضد الجوع والبطالة، وإنما هي نقمة الطبقة الأعلى مقاماً والتي كانت دوماً مستعدة أثناء أي جدال، لاستعمال القوة الوحشية بدلاً من الكلمات.

كان بينهم رجال ضخام الأجسام، وكلهم يحملون، كما خيل للماركيز، طابع المتمردين والقرصنة أيضاً، والذين هم على استعداد للمجازفة بحياتهم إذا كان ما يسلبونه يستحق ذلك.

تسللوا بصمت مطبق، ما بدوا معه اكثر شراً مما لو كانوا يتحدثون مع بعضهم البعض بشكل طبيعي.

ثم ما لبثوا أن أسرعوا مبتعدين متفرقين في اتجاهات مختلفة وكأنما أدركوا أن عليهم ألا يبدوا بأنهم كانوا يجتمعون، إلى أن جاء آخر رجل منهم. كان الماركيز واثقاً من أنه قائدهم... تيستلوود.

ورغم أنه كان من الصعب تبين ملامحه عبر الطريق، إلا ان الماركيز كان واثقاً من أنه من النوع المتوحش والقاسي الذي يفكر بمصلحته اكثر مما يفكر بأولئك الرجال الذين كان يقودهم إلى المتاعب.

اغلق الرجل باب الاسطبل خلفه. لم يكن ثمة قفل، ورأى

الماركيز في هذا شيئاً مقصوداً لأن الباب الموصد، في مثل هذا الطريق المقفر، هو دوماً عرضة للاقتحام إذ يحمل على الظن بأن في الداخل ما يصلح للسرقة.

عندما أغلق تيستلوود باب الاسطبل قدر امكانه، اعتدل في وقفته، ثم تردد وألقى نظرة على مطعم صغير، وكأنه شعر فجأة بالجوع.

سار نحوه ببضعة خطوات، ومن الضوء المنعكس على وجهه من النافذة، تمكن للماركيز أن يراه بوضوح فعلم أنه ينظر إلى مجرم.

خيل للماركيز ان البهجة تبدو عليه، ربما لنتيجة هذا الاجتماع، وكان يحيط به جو من الشعور بالفوز.

لكن وعلى ما يبدو أنه غير رأيه فتابع سيره في شارع كاتو متجهاً نحو طريق إدغواير.

انتظر الماركيز إلى أن توارى الرجل عن الأنظار، ثم خرج من مكمنه مسرعاً نحو الاسطبل.

فتح الباب بهدوء تام خوفاً من ان يكون هناك رجل آخر في الاسطبل.

لم يدخل إلى الاسطبل إلا بعد أن انتظر عدة ثوانٍ بعد فتحه للباب.

كان المكان غارقاً في الظلام وتفوح منه رائحة تبن رطب. وامامه مباشرة رأى العلية التي كان المتآمرون قد اجتمعوا فيها.

لم يكن هنالك أثر لأي سلم، ولكنه عاد ففكر في ان تيستلوود لا بد قد أخفاه قبل خروجه خوفاً عليه من السرقة.

تقدم الماركيز إلى الأمام في الظلمة، ثم وقف يتنصت.

لم يكن هناك سوى الصمت، وإذ ذاك، وبرقة زائدة وصوت أقرب إلى الهمس، نادى: «كارا.»

وظن لحظة أنه كان مخطئاً وأنها غير موجودة، ثم مالبث أن سمع همهمة تدل على الدهشة، وبعد ذلك بلحظة سمع صوتها يسأله: «هل... هذا... أنت حقاً؟»

أجاب: «أنا هنا. أين أنت؟»

«لا استطيع أن... أنزل.»

وحيث أنه كان من المستحيل رؤية شيء في اتجاه المكان القادم منه صوتها، فتح الماركيز الباب قليلاً، ثم تغلغل داخل الاسطبل حيث وقف وسأل مرة أخرى: «أين أنت؟»

«إنني... هنا.» وجاءه صوتها من فوق رأسه. عندئذ أدرك أنها كانت قد تسلقت فوق معلف محطم إلى حيث كان فوقه أكياس من التبن إلى أن اصبحت تماماً تحت أرض العليّة التي فوقها.

سار إلى حيث هي، ثم رفع ذراعيه قائلاً: «لن ادعك تسقطين.»

وضعت ساقها فوق ناحية من كومة التبن ثم مالت نحوه وذراعاها مبسوطتان لكي تتمسك بكتفيه.

قال: «لا بأس عليك. ألقي بنفسك.»

ففعلت ما قاله لها، فأمسكها بسرعة.

كان قد ثبت نفسه استعداداً لتلقي الصدمة، وسرعان ما كان يمسكها، عند ذلك همست مذعورة: «انهم... سيقتلونك. آه... يا آيفو، انهم يريدون قتلك... وقتل الآخرين جميعاً... وذلك غداً مساء.»

لمس، وهي تتكلم، مقدار خوفها.

فقال لها: «كيف امكنك المجيء إلى هنا؟ كيف امكنك أن تفعلي شيئاً كهذا...»

وسكت وهو يتذكر مقدار قلقه وخوفه أثناء انتظاره في الجانب الآخر من الطريق، ولكنه الآن، بعد أن اطمأن إلى سلامتها، اكتسحته موجة عارمة من البهجة لا يمكن أن تكون سوى الحب.

لم يفكر قط قبل الآن، كما لم يتصور لحظة أنه قد يقع في غرام كارا، التي كانت تمثل كل ما لا يعجبه في المرأة.

لكنها، رغم أنه ما كان ليعترف به حتى لنفسه، كانت تقترب يومياً من قلبه، شيئاً فشيئاً، إلى أن وقع في حبها بشكل لم يظن قط أنه سيحدث له.

أما بالنسبة إلى كارا، فقد شعرت بنفسها بين ذراعيه وكأن ابواب السعادة قد فتحت لها ووجدت نفسها وقد غمرها النور الساطع بدلاً من تلك الظلمة الدامسة حيث لا يوجد فيها سوى الرعب والخوف.

أخيراً، رفع الماركيز رأسه، شاعراً بأنه قد عاد إلى الواقع، وقال: «دعينا نخرج من هذا المكان، لشد ما كان خوفي من ان يقتلك أولئك المجرمين.»

فتمتمت تقول: «انهم... ينوون.. قتلك.»

ومع هذا، فقد أدرك وهي تقول ذلك، أن هذه الكلمات خبأت بين طياتها الكثير من السعادة برؤيته، تماماً كما هو الأمر بالنسبة إليه، ما جعل من الصعب عليهما العودة إلى الواقع.

مشى الماركيز نحو الباب وهو ما يزال يمسك بها.

لكنه وقبل ان يصل إليه، وقف يختلس النظر إلى الشارع، كما سبق وفعل اولئك المتآمرون.

لم يكن ثمة أحد في الطريق الذي كان هادئاً مقفراً تماماً.

وبسرعة، لأنه كان ما يزال خائفاً على كارا، حملها عابراً بها الشارع عائداً في نفس الطريق الذي كان قد جاء منه حيث ترك عربته.

عندما وقعت عيناها على العربة، سألت: «هل تريدني... أن أمشي؟»

فقال: «أبقي كما أنت، فالرعب من فقدانك ما زال يتملكني.»

اشتدت ذراعاه حولها وهو يتكلم، وشعرت كارا بأنها لم تعرف قط من قبل مثل هذا الأمان.

وعندما رآهما الخادم، قفز إلى الأرض وفتح لهما باب العربة حيث وضع الماركيز كارا على المقعد الخلفي قبل أن يصعد.

وضع الخادم الدثار المبطن بالفرو فوقهما، ثم سأل: «إلى البيت، يا سيدي؟»

أجاب الماركيز: «نعم، إلى البيت.»

وما أن انطلقت بهم العربة، حتى وضع الماركيز ذراعه حول زوجته.

كان في ذهنه سؤال يتلهف إلى طرحه، إنه يعلم ان ما كان يشعر به، هو الخوف، ولكنه يدرك أن ثمة شعوراً آخر يدفعه نحوها لم يعرفه قط في حياته من قبل، أنها هي التي من كان يبحث عنها طوال حياته ولم يعثر عليها.

كان يريد أن يوفر لها الحماية والسعادة التي تنبع من الأعماق.

عندما سارت بهما العربة شوطاً طويلاً، عند ذلك فقط قالت كارا بصوت خافت ساهم لم يسمعه منها من قبل: «أحبك... يا آيفو... إنني أحبك، ولكنني لم أدرك ذلك حتى سمعت أولئك الأشرار يتآمرون لـ... لقتلك.»

وأخيراً، أصبح بإمكان الماركيز أن يوجه إليها ذلك السؤال: «كيف تقومين بعمل بمثل تلك الحماقة... وذلك الجنون، فتذهبين إلى ذلك المكان بمفردك؟ كيف تجازفين بحياتك بذلك الشكل؟»

«كان يجب عليّ أن أتأكد من... أن ألبرت لم يكن يلفق تلك القصة... وأنك... إذا ذهبت غداً إلى حفلة العشاء تلك... في منزل هارويي... سيقتلونك.»

تهدج صوتها وهي تنطق بالكلمة الأخيرة، فسألها الماركيز: «وهل كان ذلك سيقلقك؟ كنت اظنك تريدين التحرر مني.»

أجابت: «إنني احبك رغم أنني لم اكن أدرك ذلك... ولكنني... أحبك... وأنا... أرجوك، أريد أن أبقى... معك.»

مضت لحظة لم يقل فيها الماركيز شيئاً، فقالت بسرعة: «هل أنت... غاضب... مني؟»

فقال يطمئنها: «كلا، أنا لست غاضباً، ولكنك فقط اشعرتني بخوف لم اعرفه قط من قبل، آه، يا حبيبتي، هل تقسمين لي بأنك لن تقومي بعمل كهذا بعد الآن؟»

وشعر بكارا ترتجف وهي تسمع كلمة حبيبتي منه: «إذا جعلتني... ابقى معك... سأكون في أمان... ولكن عليّ أن اطمئن إلى انك ستكون في امان... انت أيضاً.»

أجاب: «نعم، ساكون كذلك، لأن حفلة العشاء عند هاروبي، والفضل لك في ذلك، لن تقام غداً مساء.»

شعر بكارا تتنهد بارتياح عميق، وعندما وصلا إلى المنزل، لم يكن هناك سوى الخادم الليلي في الردهة، ذلك أن الماركيز، وقبل ان يخرج، اخبر بيتسون بأن لا ينتظره، ذلك لأنه كان يعلم ما كانت ترتديه كارا، ولم يكن يريد أن يراها الخدم، في السروال، اكثر مما يلزم.

قال لها والعربة تقف بهما: «اصعدي إلى غرفتك مباشرة يا حبيبتي، وساحضر إليك ما تأكلين، وبعد ذلك تخبرينني بما حدث.»

وعلى الضوء المتسرب من الردهة، رأى الابتسامة التي منحته إياها، ورأى أنه رغم ملابسها الغريبة، لا يمكن أن يكون لاحد اكثر جمالاً منها.

وما أن فتح الحوذي باب العربة حتى نزلت منها واسرعت تصعد الدرجات حتى قبل أن يدرك الرجل ما الذي يحدث.

صرف الماركيز الحوذي، ثم دخل إلى الردهة حيث ناول الخادم قبعته والكاب الذي فوق كتفيه، ثم دخل إلى غرفة مكتبه حيث يوجد عادة طبق يحتوي على الفطائر، فحمله صاعداً به السلم وهو يشعر بسعادة لم يشعر بها في حياته من قبل.

كان الأمر كما لو كان الستار يرفع عن مسرحية لم يرها ابداً من قبل، ولكنه يعلم أنها ستكون حافلة بالفرح اكثر من أي شيء حلم به أو عرفه، ذلك لأن كارا في انتظاره.

عندما ساعده خادمه الخاص على خلع ملابسه وارتداء

الثوب المنزلي الحريري الطويل الذي يصل إلى الأرض، فتح الباب الموصل بين غرفته وغرفة كارا وهو يحمل طبق الفطائر.

وعندما دخل إلى غرفتها، كانت جالسة.

وضع طبق الفطائر على المنضدة، ثم مواجهاً لها وهو يقول بصوته العميق: «ها أنت ذي هنا، وقد احضرتك سالمة، وحالياً، لا استطيع أن أفكر في غير ذلك.»

فقالت: «كان عليّ... أن أذهب لأتأكد من أنك... حقاً في خطر، والآن، آه يا آيفو، الآن عليك أن تنقذ الآخرين... لأنهم ينوون... قتلهم.»

فقال: «عليك أن تخبريني عن ذلك.»

نظر إليها وقال: «إنني احبك، كيف لم أدرك ذلك من قبل؟ إياك أن تجار. في بحياتك مرة أخرى مهما كانت الظروف، لأنك لي.»

فسألته: «هل انت حقاً... تحبني؟ لا استطيع تصديق ذلك.»

فقال: «سأجعلك تصدقين. والآن، يا عزيزتي، أنا أعلم أن ما اشعر به نحوك هو ما كنت أبغيه على الدوام، وما كنت أبحث عنه، وذلك دون وعي مني.»

تنهدت كارا بسعادة، ثم قالت: «كيف امكنني أن اكون من الحماقة بحيث لم أدرك منذ اللحظة التي رأيتك فيها، بأنك الرجل الذي كنت احلم بأنه... قد يكون موجوداً... في مكان ما من هذا... العالم، والذي بإمكاني أن أحبه... كما أحببت والدي؟»

«وكما أحبك أنا.»

سألته كارا: «لشد ما كنت حمقاء وأنا أضيع كل ذلك الوقت

في التفكير... بأن عليّ الرحيل عنك، بينما أذكر الآن أنني لو كنت فعلت ذلك... لكان كل ما أريده هو... أن أموت.»

أجابها: «لا، يا حبيبتي، بل أنت ستعيشين معي، فأنت لي، وكما سبق واخبرتك من قبل، سأقتل أي شخص قد يحاول أخذك مني.»

فقالت: «لن يتمكن أحد من ذلك. ولكنني لم اكن اعلم ان... الحب هو بهذه الروعة... وبهذه السيطرة.»

فقال: «الا تشعرين بالخوف مني؟»

«وكيف أخاف منك وقد شغفني حبك؟»

«لقد خفت مني في أول ليلة جئت فيها إلى هنا، وقد سبب لي ذلك القلق منذ ذلك الحين.»

«لن أخاف منك أبداً بعد الآن. سأخاف عليك فقط، في حالة أراد ذلك الرجل الفظيع تيستلوود أو عمي أن يلحقا بك الضرر.»

فقال: «أرى، يا غاليتي، أن عليك أن تخبريني بما حدث هذه الليلة ولكنني حالياً لا استطيع أن افكر في شيء سواك وبالسعادة التي اشعر بها.»

فقالت: «ما أجمل أن... تحبني، ولكن عليك أن تنقذ اللورد هاروبي والوزراء.»

فقال: «سأفعل ذلك، ولكن، قبل ذلك، اخبريني بأنك تحبينني وبأنني لا احلم بكل هذا.»

ضحكت كارا بسرور، وقالت: «يبدو هذا بعيداً عن التصديق، أليس كذلك؟ لقد جعلت إميلي تحضر لي بذلة أخرى لأنني كنت أفكر في أن أهرب منك، ولكن هذه الليلة، عندما قالت لي أن عمي ليونيل يتآمر مع ذلك الرجل

تيستلوود لقتل كل شخص سيذهب لتناول العشاء مع اللورد هاروبي غداً مساء.... أدركت أن عليّ العمل لإنقاذك.»

قال: «كان بإمكانك أن تحذريني بالنسبة لذلك الأمر دون أن تجازفي بحياتك.»

فقالت: «ظننت بأنك لن تصدقني. وشعرت بأن علي الذهاب لأعرف الأمر بنفسي. ولم أدرك مقدار حبي لك إلا بعد أن سمعت ما كان يخططه أولئك المجرمون، وأحسست أن عليّ أن انقذك حتى ولو قتلوني.»

قال: «اخبريني بالقصة كلها.»

فقالت: «اخبرتني اميلي بأن الرجال يجتمعون في اسطبل في شارع كاتو، فذهبت إلى هناك وبقيت أبحث بين الاسطبلات إلى أن رأيت الاسطبل الذي ابغيه.»

فسألها: «وكيف استطعت معرفته؟»

أجابت: لقد كانت الاسطبلات الأخرى إما تحتوي على الجياد، وإما منهارة السقف بشكل كامل، ما يجعل من المستحيل على أي انسان الجلوس فيها.»

فقال: «استمري، ماذا فعلت بعد أن وجدت الاسطبل؟»

قالت: «أدركت حينذاك انهم، إذا ما عثروا عليّ، فسأتعرض لمتاعب مريعة، ولكنني رأيت المعلف المحطم واكياس التبن فوقه، فعلمت انني إذا استطعت التسلق إليها، فلا يمكن لأي داخل من الباب ان يراني. وكذلك سيكون بإمكاني ان اسمع كل ما سيقال.»

فقال الماركيز: «كان ذلك ذكاء منك، ولكنه خطر على كل حال.»

فتابعت تقول: «لم يكن عليّ الانتظار سوى ربع ساعة تقريباً

قبل ان يظهر أول رجل منهم ليضع السلم، والذي كان مخبأ، ولحسن الحظ عند الطرف الآخر من الاسطبل، ثم تسلق إلى العليّة. ابتداؤا بعدها جميعاً بالتوافد واحداً تلو الآخر حيث جلسوا يتبادلون الأحاديث إلى أن جاء السيد تيستلوود.»

فسألها الماركيز: «وكيف عرفته؟»

«لأنهم اخذوا يتحدثون إليه باحترام كلي عندما قال مساء الخير. وقد أخبرهم بأنه رأى عمي ليونيل الذي أصر على ان أول شخص ينبغي... قتله يجب ان يكون... انت.»

قال: «لقد انتهى كل شيء الآن، يا غاليتي، ولكن عليك ان تحدثيني عما حدث بعد ذلك.»

«لقد بسط السيد تيستلوود الخطة بكاملها، فقرروا ان يذهب واحد منهم إلى منزل اللورد هاروبي أثناء العشاء مدعياً بأنه يحمل رسالة خاصة.»

أخذ الماركيز يستمع باهتمام بينما تابعت كارا: «وبينما يتكلم هو مع الخادم، يكون بقية المتآمرين مختبئين في مجموعات صغيرة في الساحة، وهم يراقبون. آه، يا آيفو، لقد خططوا لقتل جميع الوزراء بمن فيهم الخدم إذا هم قاوموا. وقال رجل منهم يدعى إنفز وهو لحام، بأنه ينوي قطع رأسي اللورد كاستل ريغ واللورد سيد ماوث.»

حبس الماركيز انفاسه وهو يكاد لا يصدق ما يسمع، بينما تابعت هي تقول: «وقد كان يحمل كيسين لذلك، وقال إنه يريد أيضاً اليد اليمنى للورد كاستل ريغ شاعراً بأنها ستكون تذكاراً قيماً.»

فصاح الماركيز فجأة: «لا بد أنهم مجانين.»

قالت: «نعم، هذا ما بدا لي، وبعد أن ينتهوا من قتل كل

شخص، سيطلقون قذيفة من المنزل كإشارة لاصدقائهم.»

«وماذا سيحدث بعد ذلك؟»

«سيشعلون النار في حانوت بترول قالوا انه كائن في نفس الشارع وذلك لحشد الجموع.»

فسألها: «هل قالوا ذلك حقاً؟ وماذا كان غرضهم؟»

«قال السيد تيستلوود ان النار ستجمع حشوداً ضخمة، وستتملكهم الإثارة الوحشية لمنظر جثث الوزراء المشوهة. وهكذا يصبح بإمكانهم احتلال الثكنات في هايد بارك.»

هتف الماركيز: «لم أسمع في حياتي بمثل هذا المشروع الجنوني.»

«ليس هذا كل شيء، لقد قال تيستلوود انهم إذا أخذوا مئات من الفوضويين معهم، فسيكون بإمكانهم ان ينهبوا المصرف البريطاني وان يحتلوا برج لندن ويفتحوا كذلك أبواب السجن الكبير.»

فقال الماركيز: «مثل هذه الخطة بعيدة عن التصديق، هل تظنين حقاً ان عمك يعرف كل ذلك؟»

أجابت كارا: «كان السيد تيستلوود يتحدث عنه بكل افتخار، وأنا واثقة من ان عمي هو الذي اخبرهم بأنه سيكون بإمكانهم تأليف حكومة انتقالية موقتة يعلنون عنها على درجات منزل محافظ لندن.»

تذكر الماركيز كيف كان عمها يتفاخر بأنه قد وضعه تحت رحمته. وها هو الوضع ينقلب الآن ليصبح عمها تحت رحمته هو فيشنق بصفته خائناً.

وعلى كل حال، لم يقل ذلك لكارا، وإنما قال فقط: «ماذا قالوا غير ذلك؟»

«لقد احصوا ما لديهم من بنادق ورماح وقنابل يدوية، ولقد رتب السيد تيستلوود الأمر بحيث يأخذون كل تلك الاسلحة قبل ذهابهم إلى مخابئهم في الساحة غداً مساء، كما أنه قال إن عمي ليونيل قد أعطاه مبلغاً كبيراً من المال لشراء المزيد من الأسلحة وخصوصاً المسدسات.»

كان الماركيز واثقاً من أن ليونيل يتصور بأن رضى المتآمرين عنه وعرفانهم لجميله سيؤمن له مركزاً رفيعاً في الحكومة الجديدة ومن ثم سيكون بإمكانه ان يربح من وراء الثورة مبلغاً معتبراً من المال.

سأل كارا: «ماذا حدث بعد ذلك؟»

«لقد أدوا جميعهم قسم الولاء للسيد تيستلوود قائلين بأنهم سيتبعونه بكل اخلاص ويضعونه في مركز السلطة اي حاكم البلاد وذلك بعد ان يموت كل أعضاء الوزراء الحاليين.»

كاد الماركيز ألا يصدق حقيقة ما يسمع. ذلك اذا لم يستطع المتآمرون تحقيق جميع طموحاتهم، فبإمكانهم بكل تأكيد، ان يسببوا أذىً كبيراً، وأربعة وعشرون منهم يمكنهم بكل سهولة أن يقتلوا كل من سيكون موجوداً على مائدة اللورد هاروبي مساء الغد.

قال: «لشد ما كنت رائعة وشجاعة يا عزيزتي، وذلك باكتشافك كل ذلك، وأنا اعلم كم سيكون رئيس الوزراء وخصوصاً اللورد هاروبي، شاكرين غداً مساء عندما يعتقلون أولئك المتمردين ويسجنونهم. ولكنني لا استطيع ان اشكرك في تلك الأمور.»

نظرت إليه، فقال موضحاً: «بصفتك زوجتي والماركيزة

بروم، فذلك سيثير الأقاويل غير المرغوب فيها إذا علم الناس بأنك استمعت إلى ما تنصت إليه خادم، ثم تنكرت كغلام كي تتنصتي إلى خطط عن الذبح والثوار.»

«إنني متفهمة لذلك.»

«ولهذا، سأخبر رئيس الوزراء فقط عن مصدر المعلومات التي سأنقلها إليه صباح الغد.»

فقالت: «ان كل ما يهم هو سلامتك، لا أريد ان اتحدث عن ذلك أو حتى ان أفكر فيه، كل ما اعلمه هو أنني سمعتهم يقولون انهم سيقتلونك، فشعرت وكأن خنجراً غرز في قلبي.»

«ها انك تعلمين، يا حبيبتي، كيف كان شعوري وأنا انتظر في الخارج، خائفاً من ان يكتشف وجودك اولئك الرجال الاوغاد وان يعذبونك.»

صدرت عن كارا صرخة خافتة، فقال: «ولكنك سالمة الآن تماماً وفي أمان. ولن ادعك بعد الآن أبداً، تشتركين في أي عمل خطر كهذا.»

فقالت: «ليست لدي رغبة في القيام بذلك لأنني احبك، وكل ما أريده هو رضاك والقيام بما تريده مني.»

نظر الماركيز إليها برقة بالغة لم يراها احد في عينيه من قبل، ثم قال: «إنني أحبك كما أنت. وفي الواقع، هذا قول غريب جداً مني، ولكنه صحيح.»

فقالت كارا: «وأنا أحبك، وعندما كنت أقول إنني اكره الرجال وأخاف منهم، كيف كان بإمكاني ان افكر بأنني سوف احبك.»

كان الماركيز من الذكاء بحيث كان يدرك ان خوف

كارا وكراهيتها للرجال ليس هو إلا نتيجة للمعاملة التي تلقتها من عمها ومن واقع كونها وحيدة وعاجزة في عالم مخيف.

لكن بالنظر إلى شجاعتها والى صفاتها المميزة، لم يحطمها ذلك كما كان يمكن أن يحطم امرأة أخرى.

لكنها، بدلاً من ذلك، قاومت، مصممة على الانتصار والبقاء، وعلى اثبات ذاتها. ومع انها كانت تقابل الكراهية بالكراهية، إلا أنها كانت متشوقة إلى الحب.

نظر إليها وهو يقول: «ما الذي فعلته بي، ايتها الجميلة الرائعة، لكي تجعلي مثل هذه المشاعر نحوك تتملكني؟ وما الذي فعلته انا في حياتي لكي استحق امرأة ذكية مثلك؟»

فسألته: «هل تعني ما تقوله حقاً؟ أريدك ان تعجب بي، رغم أنني لم أفهم ان ما كنت أريده حقاً لم يكن سوى... الحب، والآن، إنني في منتهى السعادة إذ اشعر بأنني بعيدة عن الخوف والظلم.»

ارتجفت وهي تنطق بالكلمة الأخيرة فأدرك الماركيز انها كانت تتذكر كيف كان عمها يقسو عليها بالضرب.

فقال: «انسي أمره، فقد انتهى، بعد ليلة الغد سيكون في السجن، فإذا لم ينتحر فسيحاكم امام مجلس اللوردات وسيحكم عليه بالاعدام.»

كان يتكلم وهو واثق من ان عمها حين يعلم بأن المؤامرة قد اكتشفت وبأن المتمردين قد اعتقلوا، فسيطلق النار على نفسه.

لم يكن ثمة مهرب من اكتشاف تورطه. ان تيستلوود سيخدعه دون شك، وهناك شهود على إثمه، وهم خدمه، عدا عن المتمردين.

من الطبيعي ان يشعر الماركيز بالرضى لهزيمة عدوه، ولكن تفكيره الآن هو في كارا وفي ان الرعب الذي عاشته مع عمها سيتلاشى من ذهنها تدريجياً.

ان حبهما المتبادل سينسيها كل ذلك ولن يبقى هناك سوى سعادتهما المشتركة.

كانما أدركت ما يفكر فيه، قالت: «احبك... كيف اجعلك تدرك مقدار حبي لك... وبأن لا شيء في العالم يهمني سواك؟»

قال: «هذا ما أريدك ان تقوليه وتستمري في قوله ليس لمرة واحدة بل لآلاف المرات.»

رأى ان كارا، بشجاعتها، وبمرونتها وبشخصيتها غير العادية في شابة فتية مثلها، هي في الواقع مكملة لمزاياه، ما يجعله يشعر بشكر عميق للصدف الجميلة التي ارسلتها إليه.

وإذ حيرها صمته والطريقة التي كان ينظر إليها، سألته: «هل تفكر... بي؟»

«فيك فقط، يا حلوتي. انك تملأين عيني، وعقلي، وقلبي، وحياتي.»

«ذلك ما أردتك ان تقوله لأنه يماثل... حبي لك.»

ثم قالت: «أريدك أن تخبرني بكل ما تريدني ان اقوم به فلا اخيب املك بي. ولأنني أحبك، أريد ان اكون زوجة مطيعة، ولكن من الصعب عليّ ذلك إذا لم تساعدني.»

www.rewity.com/vb سنو وايت

«فقط تحلي بشخصيتك الحقيقية، يا حبيبتي، فالأمر سهل جداً.»

ابتسمت وهي تجيب: «اتراني أسرت حقاً الماركيز المراوغ؟ كنت اظن ذلك محال.»

فقال: «وهذا ما ظننته انا أيضاً، ولكنني انا كذلك اسرتك، واحذرك من أن لا مهرب لك. انك لن تهربي أبداً، وأنا لن افقدك أبداً، أبداً.»

تمـــت

www.rewity.com/vb
ريو وايت